٢ نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب

مدينة الرياض

عبر أطوار التاريخ

بقلم: حمد الجاسر

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض. المملكة العربية السعودية

(٢) نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب

مدينة الرياض

عبر أطوار التاريخ

بقلم: حمد الجاسر

الطبعة الاولى

١٣٨٦ – ١٩٦٦

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أمير الرياض

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود

تقدم دار اليمامة

للبحث والترجمة والنشر

هذا البحث عن

"تاريخ مدينة الرياض"

في ١٥ رجب سنة ١٣٨٦ — حمد الجاسر







كنت تحدثت – في مناسبات – عن تاريـخ مدينة الرياض .

ونشرت صحف (البلاد) و (الاهرام) و (قافلة الزيت) و (الاديب) و (اليمامـة) مقالات لي في الموضوع .

فاظهر لي كثير من القراء رغبتهم في نشر خلاصة ما كتبت في الموضوع في كتاب .

وها انا أستجيب لتلك الرغبة ، راجياً أن يُمَهِّدَ ما كتبته السبيلَ للباحثين ، وان يلقى ضوءاً على جوانب من تاريخ هذه المدينة الكريمة .

في رجب سنة ١٣٨٦هـ .

حمد الجاسر

مُقَدّمَة

قامت مدينة (الرياض) على أنقاض مدينة (حَجْرٍ)، ولهذا فان تاريخ المدينتين واحد .

وعرفت مدينة (حَجْرٍ) بانها أقدم قاعـدة لإقليم (اليمامة) [1] وهو الاقليمُ الذي يشمل في العهد الحاضر ما

---

(١) وفي صدر الاسلام ، كان اسم اليمامة يشمل - من الناحية الادارية ما حدده صاحب كتاب « بلاد العرب » لغدة الأصبهاني بقوله : (جابيها يجبي بجوف المربد ، مربد البصرة .

وجابيها يجبي بركبة ، وبينها وبين قرن ومكة ليلة ، وجابيها يجبي برمال اليمن ، قريباً من صنعاء ، وجابيها يجبي البحرين ، ومنبر الاحساء يدعى عليه لصاحب اليمامة ، وواليها من قبل عامل اليمامة ، وهو من هذا الوجه يجبي بجبلي طيء ، قريباً من جار البحر ، عند وادي القرى .

وذلك أن جميع « قيس » جبايتها الى اليمامة ، ما خلا « بني كلاب » فان جبايتهم الى المدينة ...

قال : جابيها يرد لينة ، وهي ماء لبني غاضرة من أسد) .

أي ان عمل اليمامة ادارياً في ذلك العهد ، يشمل من البحر الشرقي ، الى العراق ، الى لينة ، الى وادي القرى (العلا والحجر) الى « الجار » ميناء المدينة ، الى قرب قرن مكان الاحرام لحجاج نجد ، الى قرب صنعاء ، فرمال الربع الخالي .

يدعى (العـــارِضُ) (وسُدَيْر) و (المِحْمَل) و (الشَّعِيبُ) و (الوَشْمُ) و (الخَرْج) و(الفُرْع : الحَوطَةُ والحَرِيقُ) و (الأَفْلاج) .

والبحث في تاريخ مدينة (حَجْر) يستلزم البحث في تاريخ سكان هذا الاقليم ، ممن اتخذوا هـذه المدينة قاعدة لحكمهم .

ومن المؤسف أن المصادر التاريخية المدونة المعروفة لا تتضمن معلومات مقنعة من حيث التفصيل ، والصحة ، عن تاريخ سكان البلاد في عهودها القديمة ، وكل ما يجده الباحث فيها نتف أخبار مقتضبة ، متضاربة .

ولم يعثر على شيء من الآثار القديمة يمكن من ابراز بعض الجوانب التاريخيـــة ، أو يرسم للمعنيين بالدراسات التاريخية طريقاً واضحاً ، إذْ لم يجر — حتى هذا العهد — تنقيب عن الآثار ، وليس من المعتقـد

العثور على شيء منها ، بارز للعيان ، اذ الجهل لم يُبْقِ على شيء من ذلك .

الآثار الباقية :

ولقد خلف الماضون آثاراً لو بقيت لألقت ضوءاً على بعض ما خفى من الجوانب التاريخية ، المتعلقة بهذه البلاد مما نجد المتقدمين من المؤرخين ، حينما يتحدثون عنه يجنحون الى الخيال ، ويميلون الى المبالغة .

فقد كان في بلدة (سَدُوس) وتعرف قديماً باسم (القُرَيَّة) بصيغة التصغير — قَصْرٌ مَبْنيّ بالصخر المنحوت ، ينسبهُ المتقدمون إلى (سليمان بن داود) عليه السلام [١] — كعادتهم في نسبة كل شيء عجيب ، حَسَنِ الصنعة اليه لتسخير الجِنّ له كما قال المـَعَرّي :

---

(١) معجم البلدان (مادة : القرية) .

وقد كان أَربابُ الفَصَاحةِ كُلَّما
رَأَوْا حَسَناً عدُّوهُ مِنْ صَنْعَةِ الجِنّ

وقد بقي من ذلك القصر إلى أول القرن الحالي بناءٌ شاخصٌ كَالمَنارَةِ ، فيه كتابات منحوتة في الصخر ، فلما رأى أهل القرية السُّيَّاحَ يقصدون المكان لمشاهدة ذلك الأثر هدموه ، نفوراً من الأجانب [1] .

ويروي المؤرخون ان آثار قبيلة (طَسْم) في البناء بقي شيء منها إلى أول القرن الرابع الهجري [2] .

ان الباحث في تاريخ هذه المدينة ـــ والأمر كما ذكرنا ـــ لا مناص له من الرجوع إلى ما في المؤلفات المعروفة عن تاريخها القديم ، مهما شاب ذلك من ضروب المبالغة ، وخالطه من الإغراب في الخيال .

---

(١) تاريخ نجد للالوسي .

(٢) صفة جزيرة العرب للهمداني (ص ١٤١) .

وهذه المعلومـات الموجزة، لا تفي الموضوع حقه من البحث والاستقصاء، ولـكنها خلاصة ما يستطيـــع المتعمق بدراسة تاريخ هـذه المدينة أن يظفر به في ثنايا المؤلفات التاريخية المعروفة.

مَدِينَة „حَجْر"

مَعنى اسم حَجر

يعلل المتقدمون من المؤرخين تسمية (حَجْر) بان عُبَيْد بنَ ثعلبة الحنفي ، لما أتى (اليمامة) ووجد قصورها وحدائقها خالية من سكانها من قبيلة (طَسْم) بعد فنائها ، وتشتت الباقين منها ، واختلاطهم في القبائل العربية الأخرى ، احتجز منها ثلاثين قصراً ، وثلاثين حديقة ، فسميت (حَجِيْرَته) (حَجْرا) [1] .

ولكن تلك المدينة كانت موجودة قبل نزول بني حنيفة فيها ، في عهد طسم ، حيث كانت تسمى (خضراء حجر [2]) .

---

(١) معجم البلدان : (مادة : حجر) .
(٢) صفة جزيرة العرب (١٤١) .

وكلمة (هجر) ــ والهاء والحاء حرفان حلقيان يكثر بينهما الابدال ــ يقصد بها في لغة العرب العاربة (قرية) . قال الهمداني في صفة جزيرة العرب [1]: (والهجر القرية بلغة حِمْيَر ، والعرب العاربة ، فمنها هجر البحرين ، وهجر نجران ، وهجر جازان) .

موقع مدينة حَجْر

ويفهم من كلام المتقدمين ان مدينة (حَجْرٍ) تشمل قصوراً متفرقة (مَحَلَّاتٍ) تتخللها حدائق النخيل ، وانها كانت تمتد على ضفاف وادي (الوُتْر) من الشمال إلى الجنوب ، باتجاه الوادي ، وتنتشر فيما بينه وبين وادي (العِرْض) .

ويروي المتقدمون أن عُبَيد بن ثعلبة الحنفي لما نزلها نزل منها في (الشَّطِ) [2] قرية كانت في قِبْلَةِ (حَجْرٍ)

---

(١) ص : (٨٦) .
(٢) معجم البلدان : (مادة : الشط) .

بين (الوُتر) و (العِرْض) قد اكتنفها (حَجْرٌ) وفيها حصن (مُعْتق) الذي تحصَّن فيه عُبَيْدُ الحَنفيُّ ، لما نزل (حَجْرا) .

و (الوتر) بضم الواو واسكان التاء — هو الوادي المعروف الآن باسم (البطحاء) الذي يخترق مدينة الرياض ، كما كان يخترق مدينة (حَجْرٍ) في الماضي — من الشمال الى الجنوب .

و (العِرْض) هو الوادي المعروف باسم (وادي حنيفة) وباسم (الباطن) أيضاً .

ومدينة (حَجْرٍ) كانت تقع بين هذين الواديين ، إلا أنها تنتشر على جوانب (البطحاء) شرقاً وغرباً ، وتمتد بامتداد الوادي ، في الربوات التي تنخفض عن التلال الصخرية ، وترتفع عن مجرى السيول ، فيما بين

الجبل المعروف قديماً باسم (الخُرْبة[1])وحديثاً باسم(أبو مخروق) حتى تقرب من بلدة (مَنْفُوحَة) حيث يتسع اسفل الوادي قبل التقائه بوادي (العِرْض) .

(١) معجم البلدان (مادة : الخربة) بضم الخاء واسكان الراء .

مِنْ تَارِيخِ حَجْرٍ القَدِيمِ

عُرِفَ اسْمُ (حَجْرٍ) أَوَّلَ ما عرف ، مقروناً باسم (طَسْم) على ما وصل الينا من مصادر تاريخية .

قال الهمْدَاني في كتاب صفة جزيرة العرب [1] :
الخضراء خضراء حجر ، التي التقطها عُبَيْدُ بنُ ثَعْلَبَة بن الدُّوَّل ، ولم يُشْرِكْ فيها أحداً . وهي حَضُورُ طَسْم وجَدِيس — يعني قاعدة ملكهم — وفيها آثارهم ، وحصونهم ، وبُتُلُهُم ، الواحد بَتِيل ، وهو هنٌ مربع مثل الصومعة ، مستطيل في السماء ، من طين . قال أبو مالك — من مشايخ الهمداني : — لحقت منها بناء طوله مئتا

---

(١) – (ص ١٤٠) .

ذراع في السماء . قال : وقيل : كان منها ما طوله خمسمائة ذراع . من أحدها نَظَرَتْ زَرْقاءُ اليَامِة الى من نزل من (حُوَّجان) من رأس (الآام) مسيرة يومين وليلتين . وكانت (جَدِيسُ) تَسْكُنُ (الخِضْرِمَةَ) وكانت (طَسْم) تسكن (الخضراء) . انتهى كلام الهمداني .

ويفهم من كلام المتقدمين أن قبيلة (طَسْم) كانت أمّةً عُمْرانية ، مُتَحضِّرة ، استوطنت الواديين (الوُتْرَ) و (العِرْض) وما بقربهما من الأمكنة ، ففجرت فيها العُيُون ، وشَيَّدت كثيراً من الحصون ، لحماية الزروع والحدائق .

غزارة الماء قديماً في الواديين

ولقد كانت مياه الواديين في الماضي غزيرة ، وكانت بلاد (اليمامة) كلُّها من أخصب البلاد ، واكثرها مياهاً وزروعاً ونخيلاً .[1]

(١) : الاخبار الطوال لابي حنيفة

وكانت مدينة (حَجْرٍ) تُسْقَى قديماً من (العُيُون).

ويشاهد المرء عندما يسير على شفير وادي (البَطْحاء) الغربي متجهاً من الرياض الى مَنْفُوحَة، يُشَاهِدُ سِلْسِلَةً من الكظائم (الخَرَز) تمتد حتى تصل الى الروضة الواقعة شمال (مَنْفُوحَة) في مفيض الوادي والتي تدعى الآن (الخِضْرِمَة). وقد عددت من تلك الكظائم في احدى المرّات، أكثر من ثلاثين خرزة، وهي تمثل مجرى عين قديمة.

العيون القديمة :

قال ابن الفقيه ـــ في مختصر كتاب البلدان[1] وعيون اليمامة كثيرة.

منها عين يقال لها (الخَضْراء).

---

(١) ص ٢٨.

وعين يقال لها (الهيت)[1] .

---

(١) يقع شرق الرياض سلسلة من الجبال تمتد من الشمال الى الجنوب ، تسمى (العَرَمة) ويفصل بينها وبين المنبسط الفسيح الذي تقع فيه مدينة الرياض سهل منخفض، يشقه وادي « السلي » بضم السين ، وفتح اللام ثم ياء– الوادي الذي ورد في الشعر القديم كشعر الأعشى وغيره ، وفي الطرف الجنوبي من تلك السلسلة الجبلية يوجد منهل « هِيْت » وهو عبارة عن فوهة في الجبل يصعد اليها بضعة أمتار ، ثم ينزل في تلك الفوهة الى مستنقع عظيم من الماء ، مظلم ، لا تشاهد أطرافه ، ويلاحظ فيه أن الماء هناك غير راكد ، ولا يدري الى أين يتجه .

وقد يكون في القديم عين جـارية ، الى الأرض الواقعة جنوبه ، تحت الجبل ، وفيها رياض صالحة للزراعة .

و « هيت » المذكور من أشهر مناهل تلك الناحية ، ومما ينسب للامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل – رحمه الله – من الشعر العامي ، قوله :

ورَّدوهن « هيت » واخطاه الدليله والموارد غير « هيت » مقضَّبات
واهني الترف منسوع الجديـلـه ما ضواه الليل دون « مغرزات »
روحن قبل العشا ، يمّ الشميله ضمَّر ، تضفي عليهن العبـاة

يصف – رحمه الله – ركباً اتجهوا الى الرياض ، فعلموا ان الموارد غير « هيت » قد حماها الأعداء ، فاتجه الركب لورد « هيت » فأخطأه الدليل ، وذلك انه في شعب من شعاب الجبل غير واضح لكثرة شعاب الجبل . ويصف ابل ذلك الركب بأنها اتجهت الى « الشميلة » وهي المورد القليل الماء ، لما لم يقدروا على ورود الماء العِدّ ، وان تلك الابـل من الظمأ ضامرة ، منضمّ بعضها الى بعض ، بحيث لو وضعت فوقها عباءة لضفت عليها وغطتها .

ثم يقول : هنيئاً للمحبوب الناعم (الترف) ذي الغديرة المسترسلة (منسوع الجديلة) . ما جنه الليل ، وهو خارج المدينة (دون مغرزات) بل بات آمناً مستقراً .

و « مغرزات » سلسلة من القور تقع شمال الرياض .

وعين بجوّ ، تجري من جبل يقال له (الدّام)[١] ، وبجو عين يقال لها (الهجرة) ولا يشرب ماؤها لُخُبْثِه .

وبـ (المجازة)[٢] نهران . وبأسفلهـــا نهر يقال له (سَيْحُ الغَمْر) .

وباعلاها قرية يقال لهـا (نَعَام) بهـا نهر يقال له (سَيْحُ نَعَام) .

وهذه العيون والانهار التي ذكرها ابن الفقيه تقع في الخرج ، في (الحَرِيق) وفي وادي (حوطة بني تميم) ما عدا (الخضراء) و (عين هيت) .

من حصون اليامة :

وقد عرف عـدد من الحصون التي شيدتها قبيـلة (طَسْمٍ) في (حَجْرٍ) منها (بَتِيل حَجْرٍ) وهو ــ كما

---

(١) الدام : هو التل الواقع جنوب الخرج ، الممتد بمحـــاذاة الأرض الزراعية ، وهو عبارة عن حرشفة من الأرض (ظهرة) أو كما يقول أهل نجد : (صفراء) صخرية ، يفصل بين الخرج ، وبين أرض (البياض) .

(٢) المجازة : اسفل حوطة بني تميم ، لا تزال معروفة .

يصفه ابن الفقيه : قصر مُشَيَّد ـــ عجيب ـــ من بناء طسم[1] .

و (معتق) القصر الذي تحصن فيه عبيد بن ثعلبة الحنفي لما استولى على حجر ، وهو من أشهر قصور اليمامة. وكان على اكمة مرتفعة ، مطل على الواديين . ويقع في (الشَّطّ) احدى قرى (حَجْر) ويعلل البلاذري في فتوح البلدان ـــ تسمية (معتق) بقوله : (سمى الحصن معتقاً لحصانته ، يريدون أن من لجأ اليه عتق من عدوه) غير أن ياقوتاً الحموي يورده بالنون (معنق) ويورد فيه بيت الشاعر :

أَبَتْ شُرفَاتٌ مِنْ (شَمُوسِ) (ومعنق)
لَدَى الْقَصْرِ مِنَّا أَنْ تُضَامَ وتُضْهَدَا

---

(١) ويصفه الهمداني – صفة جزيرة العرب (ص ١٤) نقلاً عن شيخه النجدي أبي مالك أحمد بن محمد بن سهل بن صباح الشكري الوائلي – (هن ، مربع مثل الصومعة ، مستطيل في السماء ، قال أبو مالك : لحقت منها ما طوله مئتا ذراع في السماء) .

ويرى بعض الباحثين : ان كلمة (بَتيل) مكونة من كلمتين : (بت) بمعنى : (بيت) ، و (ايل) بمعنى (الله) أي بيت الاله .

و (الشَّمُوسُ) من حصونهم أيضاً .

وكذا (الثرملية) على ما جاء في مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه .

ولقد بقيت آثار تلك الحصون معروفة الى صدر الاسلام. وشاهد أبو مالك أحمد بن محمد بن سهل بن صباح البشكري النجدي شيخ الهمداني بقاياها في أول القرن الرابع الهجري .

فِي أَيِّ عَصْرٍ عَاشَتْ طَسْمُ؟

يَعُدُّ المؤرخون (طَسماً) و (جديسا) من العرب العاربة البائدة ، ويقرنونها بقبيلة (ثمود) .

ويرجعون القبائل الثلاث الى جَدٍّ واحدٍ ، هو سام بن نوح ، فيقولون ثمود وطسم وجديس ابناء ارم بن سام. وبعضهم يرى أن طسماً تنسب للاوذ بن سام . وانها أقدم من جديس .

ولا جدوى من وراء هذا الاختلاف ، إلا من حيث الاستدلال به على تقارب العصر الذي عاشت فيه الأمم الثلاث .

و (ثمود) ـــ وان كان تاريخهـــا أشهر من تاريخ

(طسم) لذكرها في القرآن الكريم ، ولبقاء بعض الآثار المنسوبة اليها في بلدة (الحِجْر) بقرب (العُلا) إلا أن عصْرَها لايزال مَجْهُولاً .

وقد ورد اسمها في جملة البلاد التي غلبها (سَرْجُون) الملك الأشوري ، سنة ٧١٥ قبل الميلاد .

وورد ذكرها في كتب (اليونان) في القرن الأول للميلاد . وبعده ــ على ما ذكر الاستاذ جرجي زيدان الذي يقرر أن الكتابات الموجودة في (الحِجْر) ليست باللغة (الثمودية) وانما هي (آرامية) تختلف عن خط (المُسْنَد) الذي يكتب به قدماء اليمنيين ، والذي ينبغي أن يكون هو القلم الثمودي ، إذا كانت (ثمود) من عرب الجنوب ، كما ذكر ذلك قدماء المؤرخين . الا انه يعود فيقرر العثور على آثار من ذلك القلم (المُسْنَد) في (العُلَا) فيه اسماء ملوك (لِحْيان) فعرف بالكتابة (اللِّحْيانية) .

وأشار الى أن بعض المستشرقين يرى ان (لِحيان) الذين ورد ذكرهم في تلك الكتابة هم بقية ثمود .

ونقل الهمداني (عن زَبُورٍ قَدِيم) ان قبيلتي طَسْمٍ وجديس من أبناء قَحْطَان بن عابر (الاكليل ج ١ ص ١١٩) وكانت (طَسْمٌ) تسكن في وادِيَي (العِرْضِ) و (الوِتْر) وما بقربهما . إلا ان نفوذَها كان يشمل كل بلاد (العَرُوض) — أي اليامه والبَحْرَين — .

وكان من آثارها في الاحساء حصن (المُشَقَّر) وتسكن جوارها قبيلة (جَدِيس) في (جَوِّ) اليمامة ، (الخَرْج ونواحيه).

سبب هلاك القبيلتين :

وما وَصل إلينا من أخبار هاتين الأُمَّتَين ، لا يصلح

أن يكون أساساً للبحث ، يعتمد عليه تاريخياً ، مع أن عالمين جليلين من علماء القرن الثاني والثالث الهجْرِيَّيْنْ أَفْرَدَا لأخبارهما تأليفين خاصّين، هما ابن الكَلْبِيّ ، وأَبو البختري : وَهْبُ بن وَهْبِ القُرشي — على ما روى صاحب (الفهرست) ولكن كتابيهما لم يصلا إلينا .

ويروى المؤرخون في سبب هلاك هاتين الامتين قصَّةً هي الى الخرافة أقرب منها إلى الحقيقة . إلا أنها على درجة من الامتاع والطرافة ، وشُهْرتها في كتب التاريخ تغني عن إيرادها كاملة ، فلذا نكتفي بخلاصتها :

كانت السيطرة لطَسْم على جَدِيس ، والمَلِكُ من طَسْم كان لا ينهاه شيء عن تماديه في الظلم والطغيان ، حتى بلغ به الأمر الى أن حكم بألّا تُزَفّ بِكْرٌ إلى بعلها من جَديس حتى تُدْخَلَ عليه ، فاستثارت امرأةٌ منهم نَخْوَةَ قومها ، وكانوا أقل وأضعف من طسم . فعمدوا إلى الحيلة

بأن دفنوا سيوفهم واسلحتهم في الرمال . ودعوا الملكَ وقو مَهُ الى وليمة أقاموها لهم . فلما حضر هو وجندُه ثار الجَدِيسون عليهم بالسلاح فقتلوهم ، فاستجار الطَسْمِيُّون بأحد ملوك اليمن ، فغزا نجداً ، وأوقع بـ (جديس) في (الخرج) وَقْعَةً منكرة ، وخَرَّب البـــلاد ، وهدم الحصون .

وكانت زَرْقَاء (اليمامة) وهي امرأة من (طَسْم) مُتَزَوجةً في (جَدِيس) وكانت حادة البصر ، بدرجة يبالغ القصاصون في وصفها . فأنذرت (الجديسيين) حينما أبصرت الغزاة ، من مسافـــة بعيدة ولكنهم لم يصدقوها ، فصبّحهم الجيش ، فقضى عليهم ، وقتل الزرقاء وكان اسْمها (اليمامة) فسمى الإقليم باسمها على ما يروي المؤرخون الذين يوردون القصة مطولة ، موشاة بكثير من الشعر ، المَقُول على ألسنة (الجديسيين) وهو مَصْنُوعٌ

بعد عهدهم بأحقاب طويلة ، صنعه القصاص عند بدء تدوين التاريخ في القرن الثاني الهجري فما بعده ، وأقدم شعر صحيح سجل تلك الحادثة هو شِعْرُ الاعشى ، وهو من أهل هذه البلاد ، من بلدة (مَنْفُوحَة) ومن شعره :

مَـــا نظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنظْرَتِهَا
حَقًّا ، كما صدق (الذئبِيّ [1]) اذسجعا
إِذْ قَلَّبَتْ مُقْلَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ
إِذْ يَرْفَعُ الال(رَأْس الكَلْبِ [2]) فارْتفعَا
قَالَتْ : أَرَى رَجُلًا في كَفِّهِ كَتِفٌ
أَوْ يَخْصِفُ النعل . لَهفي أَيّةً صَنَعَا !
فَكَذَّبُوهَا بِمَــا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
(ذُو آل حَسَّان) يُزْجِي الْمَوْتَ والشَّرَعَا

---

(١) الذّئبيّ : هو الكاهن سَطِيح ، واسمه ربيعة ، من بني الذئب بن عمرو ، بن مازن ، بن الأزد . وأخباره مشهورة .

(٢) رأس الكلب : جبل يقع غرب بلدة اليمامة ، المعروفة الآن ، من إقليم الخَرْج . يشاهدُ على بُعْد منها ، ومن بَلدَة السَّيْح ، ولا يزال يعرف باسم (الكلب) . وبجواره جبل صغير ، ولهذا يُطلق عليه : (أبو ولد) .

فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ (جَوٍّ) من مَنَازلهمْ

وَهَدّمُوا شَامِخَ البُنْيَـــان فَاتَّضَعَا

وأشار الى الحادثة الحارث بن حِلِّزة اليشكري في (معلقته) فقال :

أم علينا جرَّا (اياد) كما قيل لـ(طسم) أخوكم الأباء؟!

قال الاصمعي [1] : كان (طسم) و (جديس) اخوين ، فكسرت (جديس) على الملك خراجها ، فأخذت طسم بذنب (جديس) وهذا التعليل لغزو الملك اليمني لقبيلة (طسم) هو التعليل الصحيح ، فان (جديساً) لما امتنعت عن دفع الخراج ، غزا الملك (طسماً) لأنها هي القوية ، فلما هزمها سهل عليه هزيمة اختها ، لا أنه غزا الأولى انتصاراً للثانية .

ويختلف المؤرخون في العهد الذي غزا فيه الملك اليمني قبيلة (جديس) وفي الملك نفسه ، فيرى أبو حنيفة

(١) شرح المعلقات لابن الانباري (معلقة الحارث بن حلزة) .

الدينوري أن الملك هو (ذو جيشان) بن افريقس ، وقد عاش هذا في عهد الملك الفارسي (كيخسرو) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، ويشير الى هذا الرأي الهمداني في الاكليل ، الا أنه لا يرتضيه . وعهد (ذي جيشان) ليس ببعيد من الزمن الذي ورد في النقوش ان الملك الاشوري (سرجون) غزا بلاد ثمود فيه ، وهو عام (١٧١٥) قبل الميلاد . ومئتان وخمسون عاماً ليست شيئاً كثيراً في أعمار الأمم .

واكثر المؤرخين يرى ان الملك الذي غزا (جديساً) هو (حسان أسعد أبو كرب) الذي حكم في أول القرن الخامس الميلادي الى سنة (٤٢٠ م تقريباً) .

وقد اثبتت النقوش التي عثر عليها في نجد في هذا العهد امتداد سلطة هذا الملك إلى هذه البلاد .

فقد عثر (فلبي) في جبل (ماسَل الجمح) على كتابة بالقلم (المسند) تتضمن ان هذا الملك شيد حصناً في هذا

المكان ، لحماية طريق القوافل الممتد بين نجد واليمن [١] .

ولا يبعد أن يكون سكان هذه البلاد من (طسم) و (جديس) غزاهم ملوك اليمن مرتين ، لبسط نفوذهم ، أو أكثر من ذلك ، مرة في عهد (ذِي جَيْشان) وأخرى في عهد (حَسَّان بن أسعد أبي كَرِبَ) وبها قضى على (طسم) و (جديس) قضاء مبرماً .

وتدل النقوش التي عثر عليها في عهدنا الحاضر على تغلغل نفوذ الحميريين تغلغلا يبرز أثره واضحاً في الكتابات الحميرية المنتشرة في شرق البلاد (جهات القطيف) ووسطها في (جبل ماسل الجمح) وغربها (في جهات العلا) .

وذكر الهمداني (الاكليل ٨/٨٥) من سكان حَجْر القُدامى : الأقيون بن الحارث من قحطان ، كانوا الى قُدَم ، بحجْر اليمامة ، مُتَوَاسِينَ على طسم وجَدِيس . ومن شعر امرىء القيس ــ في وصف الدهر ــ :

---

(١) انظر آخر الكتاب ، بحثاً عن الكتابات الحِمْيَرية التي عثر عليها في نجد .

وَأَلْحَقَ (آل اقيانٍ) بِـ « حَجْرٍ »

ولَمْ ينفعْهُمُ عَدَدٌ ، ومـــالُ

سكان البلاد بعد طسم وجديس :

في أول القرن الخامس للميلاد ـ على أرجح الأقوال ـ قضى الملك الحميري حَسّانُ أَسْعَد أبو كَرِب على الجَدِيسيين الذين أزالوا حكم الطَّسْميين ، وبقي من القبيلتين شراذم تفرقوا في البلاد، واندمجوا في القبائل العدنانية والقحطانية التي انتشرت في الجزيرة . فكان منهم من سكن (الجَبلَيْن أَجا وَسَلْمى) ونواحيهما ، حتى استولت طَيِّءٌ على تلك البلاد ، وهم فيها . ومنهم من سكن (البَحْرين) ثم اندمج في سكان تلك البلاد ، ومن القبيلتين من بقي في البلاد ، حتى ظهر الاسلام ، فنسي أصله ، واختلط بأهلها وصار يعرف باسم « الصَّعَافقة » نسبة لعين كانت مشهورة هناك ، عرف أهلها بامتهان الفِلَاحة .

بنو هِزّان الأولى

وبقي في (اليامة) بقية تعرف ببني (هِزّان) من طَسْم . وهؤلاء هم الذين يسمون (هِزّان) الأولى من العرب العاربة البائدة . وبعض المؤرخين لا ينسبهم في طَسْم . بل يجعلهم أقدم منهم .

قال ابن خلدون : كانت اليامة والطائِفُ بيد (بني هِزّان) بن يَعْفُر بن السَّكْسَك . الى أن غلبهم عليهـا (طَسْمُ) ثم غلبهم عليها (جَدِيسَ). ومنهم زرقاء اليامة ثم استولى عليها (بَنُو حَنِيفَة) .

وعَدّ الهَمْداني [1] — نقلاً عن ابن اسحاق — بني هزان من العرب البائدة ، قبل طسم وجديس . ثم ذكر قبيلة أخرى تدعى (هِزّان) ونسبها في (مالك بن حِمْيَر) من قَحطان ، وقال عنها : انها حي عظيم . ولهم كانت اليامة

---

(١) الاكليل (١ / ١٣٦) .

واليهم انضاف (طسم) و (جديس) .

وعلى كل الأقوال : فهناك قبيلة عربية بائدة تُدْعى (هزَّان) سكنت هذه البلاد ، ولا يعرف زمن سكناها وهي غير (هزان) طسم وغير (هزان) عَنَزَة . القبيلة العدنانية الباقية .

سُكنى عَنَزة في اليمامة

ويروي أبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال) ان قبيلة (عَنَزَة) بن اسد بن ربيعة ــ عند تَفَرّق القبائل العدنانية ــ سارت تَتْبَعُ مواقعَ القَطْرِ ، يتقدمها عبد العُزَّى بن عمرو العنزي . حتى بلغ (اليمامة) فرأى بلاداً واسعة ونخيلاً وقصوراً ، واذا بشيخ قاعد تحت نخلة ، يجني رطبها فقال له : من أنت ؟ فقال : من (هِزَّانَ) بن طَسْمٍ ــ في كلام طويل مسجوع مصنوع ــ يدل على سكنى قبيلة (عنزة) لليمامة ، قبل بني حنيفة .

ويؤيده ما أورد ابن الكلبيِّ — في جمهرة النسب — في سياق نسب بني وائل بن هِزَّان بن عنزة بن أسد ، حيث قال : وسَعْدَانَةُ بنُ العاتِك بن المُخارق ، بن حمار بن سَعْد بن وائل ، وهو الذي ادركه عُبَيْدُ بن ثعلبةَ بن يربوع الحنفي ، وهو جالس تحت نخلة سَحُوقٍ ، يخرف رطبها وهو قاعد ، ويقول :

تَقَاصَرِي ! آخذْ جَنَاكِ قَاعِدَا
إِنِّيْ أَرَى حَمْلَكِ يَنْمي صَاعِدَا

فأهوى له بالرمح ليقتله ، فقال : لا تقتلني ، ولكني أُحَالِفَك وأكون معك . فدلهم على ما أرادوا وصار فيهم إلى اليوم . وهذا هو أعدل الأقوال ، وأقربها إِلى الصحة، فبنو حنيفة وجدوا بلاداً مغمورة مأهولة يسكنها قوم منهم ، من ربيعة ، فجاوروهم واختلطوا بهم ، وعاشوا معهم .

سُكنى حنيفة في اليمامَة

يسوق المؤرخون خبر سُكْنى بَني حنيفة في بلاد (اليامة) بصورة قصصية مُنَمَّقة ، خلاصتها : أن بني حنيفة ظعنوا من عالية نجد ، واطراف الحجاز .

والحجاز في رأي المتقدمين هو الموطن الأول للقبائل العدنانية .

فتقدمهم عُبَيْد بن ثَعلبة بن يربوع الحنفي ، منتجعاً بأهله ، حتى هجم على (اليامة) فنزل في موضع يقال له (قارات الحبُل) من (حجر) على ليلة ، ولكن راعياً له من (زُبَيْد) من اليمن أتى (حَجْراً) فرأى قصورها ونخيلها ، فعرف أن لها شأناً ، فرجع فأخبر عُبَيداً خبرها .

واتاه بشيء من حملِ نَخْلها ، وَجدَه مُنتَثِراً تحت

النخل . فلما ذاقه عبيد . قال : هذا والله الطعام ! .

ومثل هذا الكلام يرويه القصاصون عن طيء حينما نزلت (الجبلين) على بقية (جديس) .

ثم ركب عُبَيْدٌ فرسه حتى اتى (حَجْراً) فوضع رمحه على الأرض . ثم دفع الفرس . فاْحتَجَرَ على ثلاثين داراً ، وثلاثين حديقة ، فسميت حَجِيرته (حَجْراً) وقال في ذلك شعراً :

حَلَلْنَا بِدَارٍ كانَ فيها أَنِيسُهَا
فَبادُوا ، وَخَلَّوْا ذَاتَ شِيْدٍ حُصُونَهَا
فَصَارُوا قَطِيناً للغلاةِ بِغُرْبَةٍ
رَمِيماً ، وصِرْنا في الدِّيار قَطِينَهَا

ثم ركز عبيد رُمْحَهُ في وَسْطها ، ورجع إلى أهله حتى وضعهم فيها ، فطلب منه جاره (الزُّبَيْدِيُّ) الشِّرْكَ فاعطاه (القُرَيَّة) ـــ وهي غير قرية سدوس ـــ على نصف

فرسخ من (حجر) إلا انه تركها ، ورحل إلى قومه بعد أن عوضه عبيد عنها بثلاثين بَكْرَة من الابل ، فسمعت بنو حنيفة بما أصاب عُبَيْد ، فاقبلوا حتي نزلوا قُرَى (اليمامة) .

وقدم زيد بن ثعلبة أخو عبيد فطلب من أخيه أن ينزل (حجراً) معه . فقال : لا ينزلها معي الا من خرج من هذا — واشار إلى ذاك منه — ولكن عليك بتلك القرية التي خرج منها (الزُّبيدي) فانطلق فنزلها في الخيام وبيوت الشعر . فسميت قريتهم (البادية) . وعبيد وولده في القصور من (حجر) .

هذا مجمل ما ذكره المؤرخون عن بدء سكنى بني حنيفة هذه البلاد ، ويضيف بعضهم : انها أصبحت بعد هلاك (طسم) يباباً لا يأكل ثمرها الا عوافي الطير والسباع ، حتى نزلها الحَنِفيون .

والصواب ما تقدم من سكنى بني (هزان) من قبيلة

(عنزة) لها حتى جاورهم ابناء عمومتهم من بني حنيفة ثم غلبوهم على البلاد ، واختلطوا بهم .

مَتى سَكَنتْ حَنِيفَة اليمَامَة

واذا اتخذنا من سلسلة النسب دليلاً على الزمن الذي سكن فيه الحنفيون هذه البلاد ، واعتبرنا عُبَيْدَ بْنَ ثعلبة هو الأب الرابع لمُجَّاعة بن مُرارَة الحنفي على ما يروي علماء النسب ، ومُجَّاعَةُ هذا ادرك الاسلام ، وأسره خالد بن الوليد في حرب اليمامة ، في السنة الثانية عشرة من الهجرة .

فيكون سكنى بنو حنيفة لليمامة ، قبل الاسلام بما يقارب قرنين من الزمان ، أي في عهد قريب من العهد الذي غزا فيه حسان بن أسعد أبي كرب قبيلة (طسم) ، في أول القرن الخامس الميلادي (سنة ٤٢٠) كما اثبتت

الآثار التي عثر عليها في نجد واليمن [١] .

حَجْرُ في عَهْدِ بني حَنِيفَة

وقد ازدهرت مدينة (حجر) في عهد بني حنيفة . في الجاهلية ثم في صدر الاسلام ، فأصبحت قَصَبَة اليمامة ، ومَقرَّ وُلاتها ، واتخذها العرب سوقاً من أسواقهم ، يفدون اليها من جميع انحاء بلادهم ، للبيع والشراء ، وللمنافرة والمفاخرة ، ويقيمون فيها من اليوم العاشر من شهر المحرم الى نهاية الشهر ، من كل عام .

ومن أبرز حوادثها ــ في العهد الحنفي الجاهلي ــ

---

(١) عثر الشيخ عبد الله فلبي (H. S T J. B. PHILPY) في جبل (ماسل الجمح) في العرض على كتابة حِمْيريَّة تثبت امتداد نفوذ الملك الحِمْيري حسان أسعد أبي كرب ، ونشر عنها مقالة في المجلة الجغرافية الامريكية .

The Geographical Journal Vol. C X V I , Nos, 4 - 6 Dec. 1950 P. P. 211 - 215.

يحسن أن نورد ترجمتها كاملة لأهميتها ، في آخر الكتاب .

تَحْرِيقها من قِبَل بني قَيْس بن ثعلبة الوائليّينَ . وهم قوم الاعشى الذي وصف الوقعة بقوله : —

وأيّامَ (حَجْرٍ) إذْ نُحَرِّقُ نَخْلَهُ

ثَأَرْنا كُمُ يوماً بتَحْرِيق (أَرْقم)

كأَنَّ نَخِيلَ (الشَّطِّ) غِبَّ حَرِيقِهِ

مَآتِمُ سُودٌ ، سُلِّبَتْ عِنْدَ مأْتَمِ

وكان أَرقم بن عُبيد بن ثعلبة الحنفي حرق (مَنْفُوحَة) بلاد بني قيس الوائليين ، فقام هؤلاء وحرقوا (الشَّطَّ) إحدى قُرَى (حَجْرٍ) . وحُرِّقَتِ (البَادِيَةُ) إحدى قراه ايضاً ، فسميت فيا بعد (مُحَرَّقَة) .

وكان غزاة هذه المدينة ، بعدما يستعصي عليهم الاستيلاء عليها لتحصينها ، واحاطتها بالحصون القويّة . يعمدون الى الحدائق المطيفة بها فيحرقونها ، وعندما سارت (سجاح) في قومها من بني تميم لغزو (اليمامة)

سجعت لهم قائلة ــ على ما يروي المتقدمون : (يا معشر تميم !! اقصدوا اليمامة ، فاضربوا فيهـــا كُلَّ هامة ، وأَضْرِموا فيهـــا ناراً مِلْهَامَه ، حتى تتركوها سَوْداء كالحُمَامَة) . ولكن بني حنيفة بقيادة مسيلمة ، تحصنوا في (حَجْرٍ) فلم تقدر عليهم . وغزا المدينة عمرو بن كلثوم التغلبي قبل الاسلام ــ فهزم، واسر في أحد قصر (حَجْر) ثم مَنَّ عليـــه السُّحَيْمِيُّون من بني حنيفة ــ فاطلقوه واكرموا مثواه ، فأشار الى ذلك في إحدى القصائد المنسوبة اليه .

بَيْن «حَجْرٍ» وَ «الخِضْرِمَة»

ومما يجدر ذكره ان بلدة (الخضرمة) بدأت قبيل ظهور الاسلام بزمن قصير ، تنـــازع مدينة (حجر) السيادة .

موقع الخضرمة .

وتقع (الخِضْرِمَة) في (جَوّ) في اسفل وادي الخَرْج ، في الموضع الذي تقوم فيه بلدةُ (اليمامة) في العهد الحاضر ، أو قريب من ذلك الموضع .

وكان هوذة بن علي السُّحَيْميُّ الحنفيُّ من تلك البلاد التي انتشرت فيها بنو حَنيفة في ذلك العهد . فامتد سلطانه على اليمامة كلها ، وصار يحمي التجارة التي تأتي من بلاد الفرس . ومن شرق الجزيرة حتى تبلغ سُوقَ (حَجْر) وغيره من أسواق الجزيرة .

حَجْرُ عِنْدَ ظُهورِ الاسْلام

ولما ظهر الاسلام . كانت زعامة (اليمامة) وما حولها لِهَوْذَة بن عليّ السُّحَيْمي الحنفي . وكان يسكن (جَوّ

الخضارم) في (الخَرْج) فكتب اليه رسول الله ﷺ كتاباً يدعوه إلى الاسلام هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، إلى هوذة بن علي: سلام على من اتَّبَع الهُدى! واعلمْ أنَّ ديني سيظهرُ إلى مُنْتَهى الخُفِّ والحافر، فأسْلِمْ تَسْلَمْ، وأجْعَل لَكَ ما تَحْتَ يَدِكَ.

ولكنّ هوذة كتب جواباً يقول فيه:

ما أحسَنَ ما تَدْعو إلَيْهِ وأَجْمَلَه!! وأَنا شاعر قَوْمي، وخطِيبُهُمْ، والعرب تَهابُ مكاني، فاجعل لي بعض الأمر اتَّبِعَكْ.

فلما بلغ النبيّ ﷺ جوابُهُ قال: «لو سألني سَيَابَة (أي بلحة) من الأرض ما فعلتُ، بَاد، وبَاد ما في يديه!» فلم يلبث هوذة الا قليلاً ثم توفي.

ويرى بعض المؤرخين [1] ان منزل هوذة كان في (قُرّان) بقرب (مَلْهَم) ولكن الصحيح انه كان في

---

(١) ممن ذكر أن منزل هوذة في وادي « قـُرّان » أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم [ص ١٠٦٣] فقد قال : « وأهل قـُرّان في اليمامة ، أفصح بني حَنِيفة ، لأنها بعيدة من حَجْر ، ومنها هوذة بنُ عليّ ، ذو التاج، وصُهبان ابن شِمْر بن عمرو ، سيد أهل قـُرّان ، وعيْن المسلمين على بني حَنِيفة ، حين ارتدُّوا ، وتنبّأ فيهم مُسيْلمة ، وقـُرّان هذه قِبل مَلهَم ، قال أبو نـُخيْلة يهجو أهل مَلهَم ، لأنهم لم يُقـْروه ، وسرقوا بتـّه ، وبَتّ صاحبه ، عَشْجل ، ويمدح أهل قـُرّان ، لأنهم قروهما :

بـ « قـُرّان » فتيان سباطٌ أكفُّهُم
ولكن كـُرْسوعاً بـ « مَلهَم » أجْذما
ألا تتـّقون الله أن تحْرموا القِرى
وأن تسرقوا الأضياف يا أهل مَلهما

انتهى كلام البكري – وكـَذَبَ أبو نخيلة ، فأهل ملهم سادة كرام، ولكن الشعراء كما وصفهم الله في القرآن الكريم ، (في كل وادٍ يَهيمون) وكما قيل: (وما زالت الأشراف تـُهْجى وتمدَح) .

ووادي قـُرّان : هو المعروف الآن باسم (الشّعِيب) أعلاه وقاعدته مدينة حُرَيْمِلاء . وأسفل منها – على مرأى البصر – تقع بلدة «القـَرينة» وهي المعروفة قديمـاً باسم « قـُرّان » وهو اسم يطلق – أيضاً – على الوادي كله .

وأسفل من القرينة – على مرأى البصر أيضاً – بلدة « مَلـْهَم » القديمة ، التي لها شهرة كبيرة في القديم .

←

(جوّ) في الخرج . وليس (جوّا) الواقع في (البَطِين) بقرب المزاحمية كما توهم بعضهم[(١)] .

وكان ثمامه بن أثال الحنفي يسامى هوذة بن علي في الشرف ، وهو من أهل (حَجْر) .

ولما بعث الرسول ﷺ الرسل الى ملوك العرب

← وكان سكان هذا الوادي بني سُحَيْم ، من بني حَنِيفة ، وهم رهط هَوْذة بن علي السُّحيْمي ، ومن هنا نسِبَ الى قُرّان ، غير ان شعر الأعشى يدل على أنه كان ينزل في « جوّ » .

ومن بني سُحَيْم أهل قُرّان أناس وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل : طلق بن علي ، وعلي بن شيبان وغيرهما .

وكانت النصرانية قد انتشرت بين بعض قبائل العرب ، فكان لدى بني سُحَيْم كنيسة ، فأعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم اداوة فيها ماء وأمر بأن يهرق فيها لتطهيرها .

ويشاهد المرء بين حُرَيْمِلاء وبين القرينة فوق جانب الجبل الواقع جنوب الوادي المطل عليه ، آثار بناء مرتفع ، يطلق عليه اسم « الكُنَيِّسة » بالتصغير ، وقد يكون آثار حصن من الحصون لصق بها الاسم لاطلالها على المكان الذي كانت تقع فيه الكنيسة ، لبعد المكان عن المدينة وارتفاعه عن الوادي الذي ينتشر فيه السكان ، وقد تكون آثار دير قديم .

(١) قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة .

لدعوتهم الى الاسلام بعث سَلِيط بن عمرو (احد بني عامر بن لؤي) الى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ملكي، اليمامة — كما يعبر ابن هشام — .

ثم قصد ثمامة مكة معتمراً ، وأهلها اذ ذاك مشركون فوافته خيل رسول الله ﷺ ، فأسرته فأتى به الى رسول الله ﷺ ،فأمر بربطه بسارية من سواري المسجد وكان اذا مرَّ به قال له : « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » فيقول : عندي خير : ان تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكر ، وان تَقْتُل تَقْتُل ذا دم وان كنت تريد المال فَسَل تعط ! . فأمر الرسول ﷺ باطلاقه ، فأعلن اسلامه .

وذهب الى مكة معتمراً ، فقالت له قريش : صَبَأت يا ثمامة ! فقال : لا . ولكنني اسلمت ، ووالله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن محمد .

ثم عاد الى اليمامة فمنع أهلها ان يحملوا الى مكة شيئاً ، فكتب أهل مكة الى رسول الله ﷺ : انـــك

تأمر بصلة الرحم، وانك قد قطعت أرحامنا، قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع. فكتب اليه رسول الله ﷺ أن يُخَلّي بينَ اهل اليمامة وبين حَمْلِ الطعام الى مكة.

ولما مات رسول الله ﷺ، وانقادت بنو حنيفة لمسيلمة، ثبَتَ ثُمامةُ على اسلامه، وخرج من اليمامة، وانضم الى العلاء بن الحضرمي في قتال المرتدين من أهل (البحرين)، بعد أن حاول الاستيلاء على مدينة (حجر) فلم يَقْدِرْ.

وكان أهلُ (حجر) من بني حنيفة وفدوا على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة، وفيهم مُجَّاعَةُ بنُ مُرارة، والرَّحَّالُ بن عَنْفَوَة، ومُسيلمةُ بن حَبِيب الكذاب، فاكرمهم رسول الله ﷺ وحباهم.

وكتب الرسول ﷺ لمجاعة كتابين: احدهما يتضمن اعطاءه مائة من الإبل، من أول غنيمة يغنمها المسلمون من

بني ذُهْلِ بن وائل ، جيران بني حنيفة ، وابناء عَمِّهم ، واعدائهم .

والثاني باقطاعه اما كن في اليمامة .

وهذا نص كل واحد منهما : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي : لمجاعة بن مرارة بن سُلْمِيّ . اني اعطيتك مـــائة من الابل ، من أول خُمْسٍ يَخْرُج من مُشْركي بَني ذُهْلٍ .

والثاني : بسم الله الرحمن الرحيم : هـذا كتاب ، كتبه محمد رسول الله ، لمجاعة بن مرارة بن سُلْمى : اني اقطعتك الغورة ، وغُرابة ، والحبل ، فمن حَاجَّك فَإِلَيَّ .

فلما رجع الوفد الى بلادهم ادعى مسيلمة النبوة ، وكتب الى الرسول ﷺ : من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك . أما بعد فقد أُشْرِكْتُ معك في الأمر ، فلنا نِصْفُ الأرض ، ولِقُرَيْشٍ نِصفها ، ولكنَّ قريشاً قَوْمٌ يَعْتَدون .

فكتب اليه رسول الله ﷺ : من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ! أما بعد فإنَّ الأَرْضَ لِله يُورِثُهَا مَنْ يَشاءُ من عبادِهِ ، والعـــاقبةُ لِلْمُتَّقِين . والسلامُ على من اتَّبَع الهُدَى .

وقد انقاد الحنفيون لمسيلمة ، وقوى أمرُه بعد وفاة النبي ﷺ .

ولما سير أبو بكر الصديق الجيوش لقتال المرتدين، بعث عكرمةَ ابنَ ابي جهل لِغَزْوِ اليمامة . وأمده بمدد مع شُرَحْبِيل بنِ حَسَنَة ، ولكن عكرمة أسرع قبل وصول المدد إليــه ، فَهُزِمَ جَيْشه ، فكتب إلى أبي بكر بما كان من أمره فأمره بالمسير بمن معه لمساندة الجيش الذي بعثه لغزو عُمان ، ومَهْرَة .

ووجه خالد بن الوليد إلى اليمامة ، فأوعب معه الناس للغزو .

وتعجل شُرَحْبِيل بن حسنة بمن معـــه ، وفعل فعل

عكرمة قبل قدوم خالد عليه ، فهجم على اليمامة . ولكنه هزم أيضاً .

وفي هذه الأثناء كانت سجاحُ التميمةُ قد أقبلت بجنودها لغزو بني حنيفة ، وكان ثمامةُ بنُ اثال الحنفي ، قد أسلم وحسن اسلامه ولم ينقدْ لمسيلمة ، فأمره أبو بكر بأن يجمع ما استطاع لغزو مسيلمة ، فلما بلغت سجاح بجيشها اليمامة ، خشي مسيلمةُ ان يغلبه ثمامةُ على (حَجْرٍ) أو شرحبيل بن حَسَنَة ، أو القبائل التي حولهم ، ان هو شغل بقتال سجاح ، فصالحها على أن يدفع لها نصف غلات اليمامة فوافقت على أن يسلفها غلات السنة المقبلة (يدفعها مقدمة عن وقتها) فأجابها إلى ذلك فانصرفت ، فَهُزِمَ شُرَحْبِيلُ ومن معه .

ثم قدم خالد اليمامة في السنة الحادية عشرة من الهجرة، فانضم اليه شُرَحْبِيلُ بن حسنة ، بجيشه، وانضاف اليه جمع غفير من قبائل العرب ، حتى بلغ جيشُ المسلمين

بضعةَ عشرَ الفاً .

ويروي ابن جرير الطبري ان عـــدد بني حنيفة واتباعهم يومئـذ بلغ أربعين الف مقاتـل ، في قراها و (حَجْرِها) .

وخشي أبو بكر أن يؤتى الجيش الاسلامي من خلفه، فبعث جيشاً بقيادة سَلِيط بن عمرو ، ليكون رِدْءاً لخالد ، من أن يأتيه أحد من خلفه .

ولما بلغ خـالد بجيشه (ثَنِيَّةَ الأَحَيْسِي [1]) وجد مجّاعَةَ بنَ مُرارة مع ثلاثـة وعشرين فارساً من قومه ، نِياماً ، وارسانُ خَيْلهم في ايديهم ، تحت خُدودهم ، لم يشعروا بالجيش حتى نَبَّهُوهم من نومهـم ، وأُتيَ بهم الى خالدٍ ، فظن أنهم جاؤا لاستقباله ، فقالوا له : ما شعرنا

(١) تُعرَف الآن باسم « الحَيْسِيّة » و يطلق هذا الاسم أيضاً – الآن على أعلى الوادي من باب اطلاق اسم الجزء على الكـُل ، و « الحَيْسيَّات » . وقد سُهِّلت الثنيَّةُ فأصبحتْ تجْتازها السياراتُ ، وتسمى : « السَّبْع الملفّات » لأنها كانت متَعَرِّجة .

بك . وانما خرجنا لثأر لنا في بني تميم وبني عامر ، فأمر بهم فَقُتِلوا إلا مجاعة .

وخرج مسيلمة ببني حنيفة حين سمع بقرب جيش خالد فنزل (عقرباء) وجعل ريف اليمامة وحدائقها خلفه .

ثم وقعت بين الجيشين معارك . في أعلى الوادي في (اباض [1]) وفي أسفله .

واستولى المسلمون على ما فيه من القرى عنوة ، وسبوا أهلها .

---

(١) : قلت – فيما نشرت سابقاً – : (وقد وهم البلاذريُّ ، حيث قال ان اسمها – اي الحديقة – أباض ، وأباض وادٍ يُعْرَف الآن باسم (بَوْضى) من روافد العِرْض ، في أعلاه، وبقربه وادٍ يدعى (الهُدَيدير) ويعرف قديماً باسم الهَدّار ، فيه وُلِدَ مُسَيْلمة الكذّاب .

ذلك ما قلت : فأعلى وادي العِرْض – وادي حنيفة ، يفيض فيه وادٍ يُدْعى : (وادي بَوْضا) فروعه تبدأ من المكان المعروف قديماً باسم « نَقْب بَوْضا » – ذكره ياقوت – وأضيف الآن الى ما تقدم :

لقد ذكر البلاذري : أن الحديقة تسمّى « أباض »

وَعدّ الهَمْداني « أباض » في القرى الواقعة أسفل « عَقْرَباء » . ←

وكانت وقعة (عَقْرباء) بجوار بلدة (الجُبَيلة) هي الوقعة الفاصلة . ففيها انتصر المسلمون وهُزم أعداؤُهم بعد معركة من أعنف المعارك ، قتل فيها مسيلمة واربعة عشر

← ونقل البكري أن زيد بن الخطاب – رضي الله عنه – قتل في « أباض »
ويُضاف الى هذا أن قبر زيد رضي الله عنه كان معروفاً في « الجُبَيلة » . وكانت العادة أن الشهيد يقبر في المكان الذي يقتل فيه، أو بقربه، ولا ينقل .
وقال شاعر حنيفيّ : –

فللّه عَيْنا مَنْ رأى مِثْل مَعْشَرٍ
أحاطتْ بِهِمْ آجالُهُمْ ، والبوائقُ
فلَمْ أرَ مثل الجَيْش ، جَيْش مُحَمَّد
ولا مثلَنا يَوْمَ احْتَوَتْنا « الحدائِقُ »
أكَرّ ، وأ حمى ، من فريقين جمَّعْوا
وضاقَتْ عليهِمْ في « أباضَ » البورقُ

فالشاعر ذكر « أباض » و « الحدائق » معاً ، مما قدْ يفهم منه أن الوقعة فيها واحدة .

ويصف الحموي « أباض » بأنه : (لمْ يُرَ نخلٌ أطول مِنْ نخلها) . وهذا الوصف يدُلُّ على وجودها في مكان خِصْبٍ ، ذي ترْبَة تمتدُّ فيها عروقُ النخل ، حتى تَرْسخ ، وتثْبُتَ ، ومن ثمّ ترتفِع فروعُها فتطول ، وأرض تربتها بهذه الصفة لا تكون عادة في أعلى الوادي ، بل في مُنْبَسطه .

والوادي المنحدر من « بَوْضا » في أعلى العرض ، وادٍ صغير، والمتقدمون – كصاحب لسان العرب – نقل في وصْفِ « أباض » ما يدلُّ على سَعَتِها فسماها « عِرْضاً »والعرض هو الوادي الواسع الذي تقع فيه القرى والزروع .

فأين مَوقع أباض ؟ !

الفاً من قومه ، سبعة آلاف في الفضاء خارج عقرباء ، وسبعة آلاف في (الحَدِيْقَةِ) ويروي ابن جرير الطبري أن القتلى منهم ٢٤ الفاً . ولعل أعدل الأقوام انهم نَحْو عشرة آلاف .

وقد استشهد في وقعة (عقرباء) الف ومئتا شهيد ، منهم زيد بن الخطاب، أخو الخليفة عمر بن الخطاب، وبقي قبره معروفاً مع قبور اولئك الشهداء إلى عهد قريب ، في الضفة الجنوبية من الوادي ، المقابلة لقرية (الجبيلة) التي كانت قديماً محلة من محلات بلدة (عقرباء) التي وقعت فيها تلك الوقعة .

واستحرّ القتال في حديقة كانت لمسيلمة بجوار تلك البلدة . تعرف باسم (حديقة الرحمن) لانه كان يسمى (رحمان اليمامة) فقتل في حديقته . وطرح في أحد آبارها ، وسميت بعد ذلك ، لكثرة ما جرى فيها من القتل (حديقة الموت) .

وكانت معروفة الى زمن المأمون حيث بنى فيها والي اليمامة في ذلك العهد اسحاق بن ابراهيم بن أبي حُمَيْضة الأضاخي مسجداً[1] جامعاً .

وكان مجّاعَةُ بن مُرارة الحنفي قد شهد الوقعةَ مع خالد أسِيْراً ، فلما رأى أن الحرب قد نهكت المسلمين . قال لخالد : هَلُمَّ لأصالحك عن قومي .

فصالحه على أن يأخذ ما لدى الحنفيين من ذهب وفضة وسلاح ، وأن يأخذ نصف السبي . ولكن مُجّاعَةُ ذهب الى قومه ، مُظهِراً بأنه يريد استشارتهم . فأمرهم بأن يعمدوا الى الحيلة ، وأمر أن يلبس النساء السلاح ، وان يُشْرِفن من الحصون .

ثم رجع الى خالد وقال: انهم أبوا قبول ما صالحتك عليه . فان شئت أن تقبل ربع السبي ، وتدع ربعاً ؟

وكان خالد ومن معه حينما رأوا النساء في الحصون ظنُّوهن رجالاً . فقبلوا الصلح .

(١) فتوح البلدان للبلاذري .

وكتب خالد كتاباً بذلك هذا نصه :

ـ « هذا ما قاضى عليه خالدُ بن الوليد مجاعةَ بن مرارة ، وسلمة بن عمير ، (وفلاناً وفلاناً خمسة آخرين) قاضاهم على الصفراء والبيضاء ، ونصفِ السبي ، والحلقة والكراع ، وحائط من كل قرية ومزرعة ، على أن يسلموا ، ثم أنتم آمنون ، بأمان الله ولكم ذمة خالد بن الوليد ، وذمة أبي بكر خليفة رسول الله ، وذمم المسلمين على الوفاء » .

فلما توثّق مجاعة من الصلح . وفتحت الحصون . فلم ير خالد فيها الا النساء فقال لمجاعة : ويحك خدعتني ؟ ! فقال له : قومي ولم أستطع الا ما صنعت ! .

وقد أغار المسلمون على بعض قرى الوادي (العِرْض) قبل انعقاد الصلح ، فاستولوا عليها ، وسبوا أهلها . ومنها (القرية) و (عِرْقَة) وغيرهما . وبعث بالسبي الى المدينة .

ثم ارتحل خالد من وادي (أباض) الى (الوُتْر)

على الشاطىء الغربي منه ، بـــين قصور (حجر) في محلة تعرف الآن باسم (الخراب) .

وكان فيها مسجد بقي معروفاً باسم (مسجد خالد) إلى عهدنا الحاضر . بقرب القصر الذي بناه السيد خالد أبو الوليد القرقني الليبي ، أحد مستشاري المغفور له الملك عبد العزيز ــ في تلك الناحية . ثم تزوج خالد ابنة مجاعة، وأقام أياماً في منزله ، فلامه أبو بكر على زواجه .

وتم فتح اليمامة في السنة الثانية عشرة وسار منها خالد بعد أن ولي عليها سمرة بن عمرو العنبري ، من تميم .

ثم قدم وفد بني حنيفة الى الخليفة أبي بكر رضي الله عنه مظهرين الطاعة والولاء ، وفيهم مجاعة بن مرارة ، فاقطعه أبو بكر (الخِضْرِمَةُ) بالاضافة إلى ما أقطعه النبي ﷺ .

ثم في عهد عمر أقطعه عيناً تسمى (الزبا) تسقي (الخضرمة) وتسقي (الصعفوقة) و (الخبية) وكلها في (الخرج) .وسمى البكري العين(الربا) بالراء لا بالزاي.

وقد بقيت حَجْر قاعدة لهذه البلاد في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم في عهد بني أمية ، الا أن ثاني وال عليها من قبلهم وهو ابراهيم بن عربي الكناني[1] ،لما ولاه عبد الملك اليمامة ، اتخذ (العُقَيْر) مقراً له ، مع بقاء (حَجْرٍ) هي القاعدة .

و (العقير) هذا كان يقع في متسع من وادي ـ (العرض) أَسفل من (العيينة) .

ويفهم من وصف الجغرافيين لموقعه انه كان في متسع الوادي بقرب (الملَقى) ولا يبعد أن يكون في موقع (المُغَيْدِر) وان آثار القصر التي كانت باقية إلى هذا العهد . والمعروفة بقصر (عجران) هي آثار (العقير)

(١) انظر الحديث عنه مفصلاً في : (ابن عربي : موطد الحكم الأموي في نجد) لكاتب هذا البحث .

لتقارب الاسمين .

ويجد الباحث ذكراً كثيراً في أخبـــار الشعراء الاسلاميين في ذلك العهد ، مثل جرير ، الذي كان يسكن (حَجْراً) .

ومثل ذي الرمة الذي مرض مرض الموت في (حجر) ثم اخرج الى الدهناء فمات فيها[1] .

ورُؤبة بن العجّاج ، الذي اجتمع بجرير في (حجر) .

ويزيد بن الطَّثْرِية الذي حبسه المهاجر بن عبد الله الكلابي والى اليمامة في (حجر) .

وسجن (حجر) المسمى (دَوّار) الذي انشأه ابن عربي ، وسجل شعراء ذلك العهد ما يقاسون فيه من بلاء في كثير من شعرهم ممـــا يجده الباحث متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ[2] .

---

(١) دفن ذو الرمة في نقا من أطول أنقية الدهناء ، يسمى « الفِرِنْداد » — بوصية منه — انظر هذه المادة من (معجم البلدان) .

(٢) تجد طرفاً من ذلك في بحث : (ابن عربي : موطد الحكم الأموي في نجد) .

وفي عهد بني العباس أصبحت الخلافةُ بعيدة عن العرب وعن بلادهم ، فأصبح أمر هـــذه البلاد مُهْمَلاً ، فبقيت مغمورة ، لا يعني المؤرخون منها الا بِمالَهُ صلة بعناية الخلفـاء ، كمكة ، والمدينة وطريق الحجاج — واخبار القبائل التي قـد تخرج عن الطاعة ، أو تتعرض للحجاج بسوء : وبايراد نتف موجزة من أخبار الشعراء الذين يفدون من هذه البلاد على الخفاء في بغداد كـآل أبي حفصة ، وآل جرير ، وأمثالهم من الشعراء .

ولهذا جُهِل أَمْرُ حَجْر .



حَجْرُ في أثناءِ العهدِ العَبَّاسِيّ

يكاد يتفق أكثر مؤرخي القرن الثالث على ان (حَجْراً) في هذا القرن لا تزال قاعدة اليمامة .

فابن الفقيه يقول : اليمامة سُرَّة نجد ، ومدينة نجد (حَجْر) .

وابو حنيفة الدِّيْنَوَرِيّ يقول :(حَجْر) اليوم قصبة اليمامة ، وموضع ولاتها وسوقها .

وصاحب كتاب (بلاد العرب) يقول : (حَجْر) سُرّة اليمامة ، وهي منزل السلطان والجماعة ، ومنبرها أحد المنابر الأولية — مكة — والمدينة — واليمن — ودمشق — واليمامة — والبحرين — والكوفة — وجل أهلها بنو عُبَيْد وبها من كل القبائل .

وكل من نقلنا كلامهم من أهل القرن الثالث .

يَوْمُ (قَاع حَجْـرٍ) في العَهْـدِ الأَمَـوِيّ

لمـا قتل الخليفة الوليد بن يزيد الأموي في آخر جمادى الآخرة ، من سنة ست وعشرين ومائة ، كان والي اليمامة من قبل ذلك الخليفة علي بن المهاجر بن عبد الله ، من بـني البَرْزى ، ثم من بني كلاب بن عامر ، وكانت البلاد في ذلك العهد تابعة من الناحية الادارية للعراق وقد ولي علي هذا بعد أبيه ، ولاه يوسف بن عمر أمير العراق .

ولما بلغ خبر قتل الوليد اليمامة، قام المُهَيْرُ بن سُلْمِيّ الحنفي فأتى إلى الوالي الأموي علي بن المهاجر ، فخيّره بين امور : اما أن يعتزل العمل ، أو يترك البلاد ، أو يبقى في قصره . فلم يقبل ، بل صمم على حرب من حاول الخروج عن طاعته ، بعدد إسداء النصح له من كثير من أهل اليمامة .

فجمع المهير له جَمْعاً ، وسار اليه وهو في قصره في

قاع (حَجْر) فالتقوا بالقاع ، فكانت الهزيمة على علي ، فدخل قصره ، وتحصّن فيه ، ثم وجد فرصة للهرب فهرب إلى المدينة ، بعد أن قُتل من رجاله أناس كثيرون واستولى المهير على اليمامة .

وفي ذلك يقول شاعرِ اليمامة يحيى بن أبي حفصة :

بَذَلْتُ نَصِيحتي لِبني (كِــــلابٍ)
فَــــلَم تَقْبَـلْ مشاوَرَتي ونُصْـحِي
فِدًا لبني (حَنِيفَـــةَ) مَنْ سِواهُمْ
فَـــإنَّهُمُ فَـوَارسُ كُلِّ فَتْـحِ

وقال شقيق بن عمرو السَّدُوسي :

إذا أَنْتَ سالَمْتَ (المُهَيْرَ) ورَهْطَهُ
أَمِنْتَ مِنَ الأَعدَاءِ والخَوْفِ والذعْرِ

فَتًى راحَ يومَ (القَاعِ) رَوْحَةَ مَاجِدٍ

أَرَادَ بِهَا حُسْنَ السَّماعِ مَعَ الأَجْرِ[1]

وقد ورد اسم (حَجْر) في كامل ابن الأثير ، وفي تاريخ ابن خلدون مُصَحّفاً : (هَجْر) .

---

(١) الكامل لابن الأثير (حوادث سنة ١٢٦) وانظر تاريخ ابن خلدون وعن تفصيل ثورة المهير انظر : (الثورات الداخلية في نجد في العهد الأموي) لكاتب هذا البحث .

حَجْرٌ في أثناءِ العهدِ العبَّاسيّ

يكاد يتفق أكثر مؤرخي القرن الثالث على ان (حَجْراً) في هذا القرن لا تزال قاعدة اليمامة .

فابن الفقيه يقول : اليمامة سُرَّة نجد ، ومدينة نجد (حَجْر) .

وابو حنيفة الدِّينوريّ يقول : (حَجْر) اليوم قصبة اليمامة ، وموضع ولاتها وسوقها .

وصاحب كتاب (بلاد العرب) يقول : (حَجْر) سُرَّة اليمامة ، وهي منزل السلطان والجماعة ، ومنبرها أحد المنابر الأولية — مكة — والمدينة — واليمن — ودمشق — واليمامة — والبحرين — والكوفة — وجلُّ أهلها بنو عُبَيْد وبها من كل القبائل .

وكل من نقلنا كلامهم من أهل القرن الثالث .

---

(١) تكرر طبع هذه الصفحة سهواً، فقدمت عن موضعها الى ص (٦٤) وهذا هو موضعها الصحيح .

ويكاد المؤرخون يجمعون على أنه في النصف الثاني من هذا القرن ٠ وعلى وجه التقريب في سنة ٢٥٣ استولى محمد الأُخَيْضِر على اليمامة ، واتخذ (الخِضْرمة) قاعدة لملكه ، وتداول الحكم بنوه منذ ذلك العهد الى منتصف القرن الخامس ، كما يفهم من كلام الهمداني . والمسعودي في مروج الذهب ، وابن حزم ، وناصر خسرو .

وعلى هذا فان شمس مدينة (حَجْر) بدأت بالأفول منذ منتصف القرن الثالث رويداً رويداً ، حتى زالت من الوجود بحلول مدينة (الرياض) محلها بعد عشرة قرون على وجه التقريب .

وعلى ذكر (الأُخَيْضِرِيِّين) [1] يحسن ايراد بعض

---

(١) بنو الأخيضِر ، أو الأخيضرون ، أسرة علوية ، من بني موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ←

النصوص القديمة ، وكلها تدل على انهم كانوا سيئي السيرة فلم يكن ضررهم قاصراً على إضعـــاف تلك المدينة ،

→ ثار أحدهم المدعو اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى في مكة سنة ٢٥١ فهرب عاملها ، ونهب اسماعيل منزله ، ووقع منه فساد كبير في مكة ، وقتل الجند ، ووافي الناس بعرفة فقتل من الحجاج الفاً ومائة ، فهربوا الى مكة ، ولم يقف بعَرَفَـة أحد ، ذلك العام. على ما ذكر صاحب درر الفوائد (٢٣٠).

وذكر ابن حزم (جمهرة النسب: ٤٦) ان اسماعيل هذا حاصر المدينة حتى مات أهلها جوعا ، ولم يصلّ أحد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم مات اسماعيل وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، فقام أخوه محمد الأخيضر (واليه ينسب الأخيضريون) وكان أسنّ منه بعشرين سنة ؛ وثار في اليمامة فملك أمرها . قال ابن حزم (٤٦): وكان له من الولد : محمد وابراهيم ويوسف وعبد الله ، وهم باليمامة ، ودار ملكهم بها الخِضْرِمَة .

وولي يوسف مكان أبيه .

فولد يوسف بن محمد بن يوسف : (اسماعيل ، والحسن ، وصالح ، ومحمد).

فأما اسماعيل : فأشركه أبوه يوسف بن محمد معه في الأمر في حياته ، ثم انفرد بولاية اليمامة بعد موت أبيه ، ثم مات .

فولي أخوه الحسن بن يوسف .

ثم ولي بعده ابنه أحمد بن الحسن .

ومنهم ولاتها اليوم – انتهى كلام ابن حزم .

وقد فصل ابن عنبة في (عمدة الطالب) فروع الأخيضريين .

وذكر طرفاً من أخبارهم . وأورد ابن خلدون وغيره من المؤرخين خبر قيام دولتهم في اليمامة ، مما لا يتسع لذكره هذا البحث .

(انظر : العبر لابن خلدون ج ٤ ص ٩٨ وما بعدها الطبعة الأولى – وعمدة الطالب الورقة ٥٨ / ٥٩ نسخة المكتبة السعودية في الرياض) .

وتشتيت أهلها عند غزوهم اياها ، بل شمل غيرها من مدن نجد في ذلك العهد ، يقول ابن حوقل في كتابه[1] : وأما اليمامة فوادٍ ، والمدينة به تسمى (الخِضْرَمة) دون مدينة الرسول ﷺ ، وهي أكثر نخيلاً وثمراً من المدينة ومن سائر الحجاز ، وكانت قراراً لربيعة ومضر ، فلما نزل عليها بنو الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر ، فسكنوا بين النيل وبحر القلزم ، وقرَّت ربيعة ومضر هناك ، وصارت لهم ولتميم كالدار التي لم يزالوا بها ، وابتنوا بها غير منبر ، كـ (المحدثة) التي يظاهر (أسوان) وكـ (العلاقي) وهو المنهل الذي يجتاز بـه الحجيج الى (عيذاب) وهم أهل معدن الذهب ، واقامتهم عليه .

ويقول ابن حوقل أيضاً[2] : وصادف دخول محمد بن يوسف الأخيضر اليمامة وانقشاع أهلها من جوره الى

---

(١) صورة الارض لابن حوقل (ص ٣٨) طبعة بيروت .
(٢) المصدر السابق (ص ٥٨) .

ارض مصر والمعدن ، في آلاف كثيرة ، فغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز ، وتكامل بالعلاقي قبائل ربيعة ومضر، وهم جميع أهل اليمامة في سنة ثمان وثلاثين ومائتين في عهد المتوكل. كذا ذكر تاريخ استيلاء الأخيضر على اليمامة . وغيره من المؤرخين يرى أنه بعد هذا التاريخ . ويؤيد هذا الرأي أَن ابن جرير ساق اسماء ولاة اليمامة من قبل الخلفاء العباسيين بعد ذلك التاريخ . مما يدل على أن اليمامة لا تزال تحت أيديهم . وذكر ياقوت الحموي في المعجم ان أهل مدينة (قُرَّان) في سنة ٣١٠ (عشر بعد الثلثمائة) انتقلوا من اليمامة الى البصرة ، لحيف لحقهم من ابن الأخيضر ، في مقاسمتهم وجدب أرضهم .

وقد زار الرحالة الفارسي ناصر خسرو علوي [1]

---

(١) ناصر خسرو ، رحالة فارسي معروف ، ولد سنة ٣٩٤هـ(١٠٠٣م) والتحق بخدمة السلطان محمود الغزنوي ثم ابنه مسعود ، ولما استولى السلاجقة على الشرق التحق بخدمة جفري بك السلجوقي حاكم خراسان، وتولى أمر ←

اليمامة في آخر جمادى الآخرة سنة ٤٤٣ ه (١٠٥١ م) —

فوصفها كما يلي : —

← خزانته في (مَرْو) ومن (مرو) قامبرحلة زار فيهابيت المقدس ، ثم مصر ، فالحجاز ، فنجد، ومنهاسار الى الاحساء ، فالبصرة ، ثمعاد الى (بلخ) في المشرق . وقد مكث في رحلته هذه قرابة سبع سنوات ، حيث بدأها في ربيع الآخر سنة ٤٣٩ وانتهى منها في آخر جمادي الآخرة سنة ٤٤٤ .

وقد وصلت الينا هذه الرحلة مختصرة، على ما يرى بعض الباحثين،ولكنها تحوي كثيراً من المعلومات التي دونها الرحالة عن كثير من البلدان التي شاهدها مما لا نجده في كتاب، وان كان الرجل منحرفاً طريقة عنأهل السنة في آرائه .

ولعل من المفيد أن ننقل للقارىء وصفه لبعض ما شاهده في بلاد نجد ، من الرحلة التي وصلت الينا باسم (سفر نامة) وقد عربها الدكتور يحيى الخشاب وطبعت سنة ١٣٦٤ (١٩٤٥ م) في القاهرة ، قال : بعد ان وصف الصحراء من الطائف الى (فَلْج) المعروف الآن باسم الأفلاج وصفاً بلغ حداً من الروعة ، قال :

فلج :

(ومن مكة اليها ثمانون ومائة فرسخ ، وتقع (فلج) هذه وسط البادية، وهي ناحية كبيرة ، ولكنها خربت بالتعصب ، وكان العمران حين زرناها قاصرا على فصف فرسخ في ميل عرضاً ، وفي هذه المسافة اربع عشر قلعة للصوص والمفسدين والجهلة ، وهي مقسمة بين حزبين بينهما خصومة وعداوة دائمة ، وقد قالوا نحن من أصحاب الرقيم (*) الذين ذكروا في القرآن الكريم . وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل . أما زرعهم ففي أرض عالية يرفع اليها معظم الماء من الآبار ، وهم يستخدمون في زراعتهم الجمال لا الثيران ولم ارها هناك ، وزراعتهم قليلة . ←

(*) هنا غلط في الترجمة ، اذ الأصل الفارسي : (الرسِّم) وهو يعني : (الرّسّ) . وقد جاء في بعض التفاسير أن الرّس ، هو فلجُ الأفلاج . اما (الرقيم) ففي بلاد العجم .

(بلغنا اليمامة بعد مسيرة أربعـــة أيام بلياليها من (الأفلاج) وباليمامة حصن كبير قديم ، والمدينة والسوق

←— وأجر الرجل في اليوم عشرة سيرات (×) من غلة ، يخبزها أرغفة ، ولا يأكلون الا قليلا من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التاليـــة ، كما في رمضان ويأكلون التمر أثناء النهار .

وقد رأيت هناك تمرا طيباً جداً أحسن مما في البصرة وغيرها .

والسكان هناك فقراء جداً وبؤساء ، ومع فقرهم فانهم كل يوم في حرب وعداء ، وسفك دماء .

وهناك تمر يسمونه (ميدون) تزن الواحدة منه عشرة دراهم . ولا يزيد وزن النوى به عن دانق ونصف . ويقال : انه لا يفسد ولو بقي عشرين سنة .

ومعاملتهم بالذهب النيشابوري .

وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر في حالة ليس أصعب منها ، لم يكن معي من شؤون الدنيا سوى سلتين من الكتب .

والناس جياع وعراة وجهلاء .

ويلتزمون حمل الترس والسيف اذا ذهبوا للصلاة ولا يشترون الكتب .

وكان هناك مسجد نزلنا فيه ، وكان معي قليـــل من اللونين القرمزي واللازورد ، فكتبت على حائط المسجد بيت شعر ، ووضعت في وسطه ورق الشجر ، فرأوه وتعجبوا . وتجمع أهل القلعة كلها ليتفرجوا عليه . وقالوا لي : اذا تنقش محراب هذا المسجد نعطيك مائة مَنّ تمراً ، ومائة مَنّ تمراً عندهم شيء كثير، فقد اتى – وانا هناك – جيش من العرب وطلب منهم —→

(×) – يزن السير خمسة عشر مثقالا ، شيفر ص ٢٢٠

ـ حيث صناع من كل نوع ـ يقعان خارج الحصن . وبها مسجد جميل .

← خمسمائة مَن" تمراً فلم يقبلوا وحاربوا ، وقتل من أهل القلعة عشرة رجال وقلعت ألف نخلة ، ولم يعطوهم عشرة أمنان تمراً ، وقد نقشت المحراب كما اتفقوا معي ، وكان لنـــا في المائة من" من التمر عون كبير ، اذ لم يكن ميسوراً أن نجد غذاء ، ولم يكن لدينا أمل في الحياة .

ولم نكن نستطيع أن نتصور خروجنا من هذه البادية ، اذ كان ينبغي للخروج منها ، عن أي طريق ، اجتياز مائتي فرسخ من الصحراء ، كلها مخاوف ومهالك ، ولم أر في الأشهر الأربعة التي أقمتها بفلج خمسة أمنان من القمح ، في أي مكان .

وأخيراً أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم وحمله الى الحسا . فانه يحضر من اليمن الى (فلج) حيث يباع للتجار .

قال لي اعرابي : أنا أحملك الى البصرة . ولم يكن معي شيء قط لأعطيه اجراً ، والمسافة مائتا فرسخ ، واجرة الجمل دينار ، ويباع الجمل العظيم هناك بدينارين ، أو ثلاثة ، ولكني رحلت نسيئـة اذ لم يكن معي نقود ، فقال الأعرابي : أحملك الى البصرة على أن تأجرني ثلاثين ديناراً ، فقبلت مضطراً ولم أكن قد رأيت البصرة قط ، فوضع هؤلاء الأعراب كتبي على جمل أركبوا عليه أخي ، وسرت أنا راجلاً .

وتوجهنا في اتجاه مطلع بنات النعش (الدب الاكبر) .

كان الطريق مستوياً لا جبال فيه ولا مرتفعات ، وكان ماء المطر متجمعاً حيثما كانت الأرض أشد صلابة .

ومضت ليال وايام ، ولم يبد في أي جهة أثر الطريق ، الا انهم كانوا يسيرون بالغريزة (السمع) ، ومن العجيب انهم كانوا يبلغون فجأة بئر ماء ، مع عدم وجود أي علامة) .

وأهلها (علويون) منذ القديم ، ولم ينتزع أحد منهم هذه الولاية ، اذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر .

وهؤلاء العلويون ذوو شوكة ، فلديهم ثلاث مئة أو أربع مئة فارس .

ومذهبهم الزيدية ، وهم يقولون في الاذان : (محمد وعلي خير البشر، وحي على خير العمل) وقيل : ان سكان هذه المدينة شريفية .

وباليمامة مياه جارية في القنوات، وفيها نخيل، وقيل : إنه حين يكثر التمر يباع الالف مَنٍّ مِنْهُ بدينار) . انتهى كلام ناصر خسرو .

فَتـْرَةٌ مَجهُـولَةُ التَّـارِيخ

منـذ أن حَكَم الاَخَيْضِرِيُّون اليمامةَ ، واتخـذوا (الخِضْرِمَة) قاعدة لحكمهم ، بدأ شأنُ مدينة (حَجْرٍ) يضعف شيئاً فشيئاً ، مدةَ ولاية أولئك .

ويجد الباحث اختلافاً بين المؤرخين في تحديد زمن زوال تلك الدولة . فالأكثرون يرون أن زوالها كان على يد ـــ (القرامطة) ـــ وهؤلاء حكموا (البَحْرَين) من آخر القرن الثالث الهجري . حتى منتصف الخامس ـــ وعلى وجه التحديد سنة ٤٦٧ هـ ـــ وجرت وقعة بينهم وبين الأخيضريين في اليمامة سنة سبع عشرة بعد الثلاثمائة من أعنف الوقعات ، قتل فيهـا عدد من مشاهير الأخيضريين ، ولهذا فكثير من المؤرخين يحددون زمن هذه المعركة ـــ أو قريباً منه ـــ زوالاً لبني الاخيضر من

حكم اليمامة . الا أن هناك من النصوص التاريخية ما يثبت امتداد زمن حكمهم الى منتصف القرن الخامس . كما يفهم من وصف الرحالة الفارسي ناصر خسرو المتقدم . وما ذكره ابن عِنَبة في كتابه (عمدة الطالب) وغيره .

وهناك اضطراب بين المؤرخين في تعيين قاعدة اليمامة ، بعد زوال الأُخَيضِريّين .

فأبو بكر الحازمي المتوفي سنة ٥٨٤ هـ يقول : —
جَوٌّ اليمامةِ قَصَبَةُ اليمامة . ويقال لبلدها (الخضرمة)[١] .

ونشوان بن سعيد الحِمْيري اليمني المتوفي سنة ٥٧٣ (ثلاث وسبعين وخمسمائة) ينص في كتابه (شمس العلوم) على ان مدينة (حَجْر) هي قصبة اليمامة .

ومهما يكن من أمرٍ فمما لا شك فيه ، أن حكم الأُخَيْضِريّين قَضَى على تلك المدينة ، فَشَرَّدَ أهلها ، واضعف شأنها .

---

(١) معجم البلدان (مادة : الخضرمة) .

ثم بزوال الاخيضريين لم تحكم اليمامة حكماً قوياً ، ولم تقم فيها أية دولةٍ ذاتُ شأنٍ ، ليهتم المؤرخون بأمرها ،

فبقي اسم مدينة (حَجْرٍ) لشهرتهـــا القديمة ، واستمرت تعرف بأنها قاعدة اليمامة ، عند كل من كتب عن اليمامة من المؤرخـين ، امتداداً لتلك الشهرة ، وتعويلاً على ما ذكره متقدمو المؤرخين ، لا أنهـــا كانت قاعدة بالمعنى الحقيقي .

لأن بلاد (نجد) كلها أصبحت مجزأة الى إمارات متفرقة ، أصبحت خاضعة للدويلات الصغيرة التي حكمت (البحرين) ـــ البلاد التي يطلق عليهـــا في عهدنا اسم (المنطقة الشرقية) ـــ مثل (القرامطة) و (العُيونيين) و (الجَبْرِيين) الذين منهم اجود بن زامل الجبري . وكل هؤلاء اتخذوا الأحساء قاعـدة لحكمهم الذي امتد إلى بلاد نجد .

ولم تزل (حَجْرٌ) قاعدة اليمامة ، في هذا القرن — أي أشهر مدينة فيها — وقد زارها الرحالة ابن بطوطة في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فقال في وصفها : (ثم سافرت منها — يعني القطيف — الى مدينة (هجر) وتسمى الآن بـ (الحساء بفتح الحاء والسين واهمالهما) وهي التي يضرب المثل بها ، فيقال : كجالب التمر الى هجر . وبها من النخيل ما ليس ببلد سواها ، ومنه يعلفون دوابهم ، واهلها عرب ، اكثرهم من قبيلة عبد القيس ابن أفصى .

ثم سافرنا منها الى مدينة (اليمامة) .

وتسمى (حَجْر) بفتح الحاء المهملة واسكان الجيم ، مدينةٌ حَسَنَةٌ ، خِصْبَةٌ ، ذاتُ أنهار واشجار .

يسكنهـــا طوائف من العرب ، اكثرهم من بني حنيفة ، وهي بلدهم قديماً ، وأميرهم طفيل بن غانم .

ثم سافرت منها في صحبة هذا الامير برسم الحج . وذلك سنة ثنتين وثلاثين) انتهى .

وعندما تحدث ابن فضل الله العُمَرِيُّ . في كتابه (مسالك الأبصار) عن قبائل العرب في عهده في القرن الثامن قـال :

بنو يزيد : دارهم (مَلْهَمُ) و (بَنْبَانُ) و (حَجْرٌ) و (مَنْفُوحَةُ) و (صِيَاحٌ) و (البَرَّةُ) و (العُوَيْنِدُ) و (جَوٌّ) .

ثم قـال : المَـزَايِدَةُ : دارها : البَخْرَاءُ ، وحَرْمَة ــ وهي حَرْمَة أخرى غير التي تقدم ذكرها ــ وسَيْحَةُ الدَّبِيل ، والحُلْوَةُ ، والهريم ، والبُرَيْك ،[1] ونَعَامُ ، والخَرْجُ) .

(١) كل المواضع التي ذكرها ابن فضل الله لا تزال معروفة الا (الهريم) و (حَرْمة) فالمعروف بهذا الاسم (حَرْمة) الواقعة بقرب المَجْمَعَة ، في شمال العارض ، وهذه التي ذكرها في جنوبه. أما حَرَمة ، المعروفة ←

← فقد ذكرها بهذا النص : (عائذ) بنو سعيد : دارهم من (حَرْمَة) الى (جُلاجل) و (التّوَيم) و (وادي القُرَى) وليس بالوادي المقارب المدينة الشريفة النبوية ، زادها الله شرفـاً ، ويعرف بـ (العارض) و (رُماح) و (الحَفَر) .

قلت : وحدثني أحمد بن عبد الله الواصلي أن بلادهم بلادُ خَيْرٍ ، ذات زرع وماشية ، بقرى عامرة ، وعيون جارية ، ونعَمٍ سارحة ، ولأرضهم بذلك الوادي منعة وحصانة . قال : وقد كان المظفر بِيبَرْس الجاشنكير يهُمُّ بقصده . واللّحاق به ، والمقام فيه ، وأن يكون فيه كواحد من أهله ، مُرْتزقاً من سوائم الابل والشاء ، قال : ثم انثنى رأيه عن ذلك آخر وقتٍ ، ولو وَجَّهَ اليه وجْهَهُ كان أحْمَدَ لمُنْتَجَعِهِ ، وأدْنى لعوده الى صلاح الحال ، ومُرْتَجَعِه) انتهى كلام ابن فضل الله .

وقال أيضاً : (عَرَبُ العارض : و (العارِضُ) وراء (الوَشْم) و (الوَشْمُ) هو الذي ينتهي اليه آل فَضْل ، اذا توسعوا في البّر : — بنو زياد ، والجملة (كذا بدون فقط) .

وَعرَبُ الخرج : وهم العمصان ، والنرحان .

ومن بلادهم : (البُرَيك) و (النّعام) وهما قريتان في واد منيع . اذا حُصِّن مَدْخله بسور كان أمنع بلاد الله .

قال ابن عَزّام : والى هذا الوادي أزمع (تُنكُزُ) على الهَرَب ، حين خاف من الملك الناصر .

وعليه طريق ركب (الحسا) وعليــه مَمَرُّ الركب من (الحسا) و (القطيف) وفيه يقول بَعْضُهم :

لعَلَّكَ تُوطِئِنِي بُرَيْكاً وأهله وَلَوْ بانَ بالحُجّاج عنــه طريق

هذا نص كلام ابن فضل الله في (مسالك الأبصار) — الجلد الرابع — الورقة ٩١ — مخطوطة (آيا صوفيا — اصطنبول) رقم ٣٤١٧ .

اليهما نصٌّ ثالث هو ما أورده ابن لَعْبُون النجديُّ في تاريخه من شعر جُعَيْثِنِ اليَزِيدي ـــ وهو من أهل الجِزْعة في وادي حَنِيفَة قُرْبِ المَصَانِع ونَصُّهُ ـــ في رِثاء (مُقْرِن بن أَجْوَد بن زامل) أحد ولاة الأحساء الذي قتله البرتغاليون سنة ٩٢٨ هـ ـــ من الشعر العاميّ ـــ :

«ونَجْدٍ» رَعَا رِبْعِي زَاهِي فَلَاتْها
عَلَى الرَّغْمْ من ساداتْ «لام» و«خالدْ»

وسادَاتْ «حَجْرٍ» مِنْ «يزِيدٍ» و«مَزْيَدْ»
قَدِ اقْتَادَهُمْ قَوْدَ الفَلَا بالقَلايِدْ

النصوص الثلاثة تدُلُّ على أنَّ رئاسة «حَجْرٍ» كانَتْ «لآل يزيد» و«آل مَزْيَدٍ». وهُمْ من بني حَنِيفَة، كما ذكر ابنُ بِشْرٍ [1] وغيرُه من مؤرخي نَجْد. وقَدْ بقي لهم نفوذٌ وذكرٌ حتى القَرْن الحادي عشر الهجري.

---

(١) عنوان المجد (١/ ١٦ الطبعة الأولى).

وذكر أبو الفـــداء المتوفي سنة ٧٣٢ في كتاب تقويم البلدان (حَجْر) مُعرَّفة باللام (الحجر)[١] نقلاً عن (المشترك) لياقوت ـــ وهو وهم وقع من ياقوت[٢] وعدَّها مدينة اليمامة . واورد عن بعضهم قوله : والحجر منازل بني حنيفـة وبعض مضر ، وبحجر قبور الشهداء الذين قتلوا في حرب مسيلمة الكذاب ، في خلافة أبي بكر الصدِّيق ـــ رضي الله عنه ـــ وحجر عن اليمامة في الغرب والشمال ، وبينهما نحو مرحلتين .

وقد تقدم ان قبور الشهداء في وادي حنيفة ، بقرب الجُبَيْلة وليست في حَجْر .

---

(١) وقبله ابن رُسْتَـة –في القرن الثالث الهجري – في كتاب (الأعلاق النفيسة) ، والبشارى ، من اهل القرن الرابع – في كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) .

(٢) هذا نص كلام ياقوت في (المشترك) قال : « بفتح الحاء وسكون الجيم الأول الحجر مدينـة اليمامة وبهـــا ، منزل الوالي واهلها بنو عُبَيْد (بن ثعلبة) من بني حنيفة ثم صارت في الاسلام خططاً كالبصرة والكوفة ولها قصة طويلة ممتعة ذكرت في المعجم » .

حجر في القرن التاسع الهجري

من أبرز أخبار مدينة (حَجْر) في منتصف هذا القرن (٨٥٠هـ) ما ذكره بعض المؤرخين عن وفود ربيعة ابن مانع ــ الجد الثاني عشر للمغفور له الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل على صاحب (حَجْر) و(الجِزْعة) وهو ابن درع وربيعة هذا من عشيرة ابن درع .

ولهذا منحه ابن درع ارضين في نواحي (الدرعية) همـا المليبيد و (غَصِيْبَة) فعمَّر ربيعة وبنوه هذين الموضعين ، وما بقربهما . وملكوا ما حولهما فانحصر ملك (آل يزيد) الحنفيين بما فوق هذين الموضعين من الوادي من (سمحة) و (الوَصيل) و (النعمية) الى (الجُبيلة) ومن (الجبيلة) الى (الأبكَّين) الى موضع (حُريملاء) لابن طوق ، جد آل معمر .

وما زال آل ربيعة بن مانع ينتشرون ، ويزدادون قوة في هذه النواحي ، حتى قام الامام المجدد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ـــ رحمه الله ـــ بدعوتـه الاصلاحية ، لتجديد الدين الحنيف ، حيث انتقل حوالي سنة ١١٥٨ الى (الدرعيّة) من (العُيينة) فوجد في كَنَفِ أميرها الامام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع . وجد في كنفه المؤازرة والرعاية فقامت بذلك الدولة السعودية .



توالت الفتن والقلاقـل في جزيرة العرب منذ بـدأ الضعف في الخلافة العباسية ـــ في القرن الثالث الهجري ومنذ ذلك العهد بدأ شأن مدينة (حَجْر) يقل ويضعف، وزاد في ضعفها قلة الأمطار في سنوات متوالية ، واشتداد عوامل الجدب والجفاف ، مما أضعف الزراعة التي هي المصدر الرئيسي لحياة تلك المدينة، حتى أصبحت في القرن العاشر الهجري عبارة عن (قرى) صغيرة متفرقـة . منهـا : (مُقْرِن) و (مِعْكال) و (العَوْد) و (البَنِية) و (الصُّليعاء) و (جبرة) و (الخراب) . وكلها كانت قديماً من محلات مدينة حَجْر ، يتصل بعضها ببعض . ومنذ ذلك العصر بدأ يختفي اسم (حَجْر)[1] وتبرز أسماء هذه المحلات التي أصبحت قرى .

(١) بقي اسم « حجر » معروفاً الى منتصف قرننا الحالي ، حيث كان يطلق على قصر على شفير البطحاء ، فيه نخل ، ثم انحصر الاسم في بئر ذلك النخل ، فصارت تعرف بـ (بئر حجر) ثم ردمت هذه البئر ، وبنى وزير المالية في أرضها دكاكين أصبحت تعرف بشارع الوزير وهو الآن: شارع الملك فيصل.

"مِعْكَال" يحل محل "حجر"

فنجد من أخبار تلك المحلات ان شريف مكة حسن ابن أبي نمي في عام ٩٨٦ﻫ غزا بلدة (معكال) وحاصرها مدة من الزمن ، بجنود يقدرهم العصاميُّ مؤرِّخ مكة ـ في كتابه (سمط النجوم العوالي) بخمسين ألفاً ، حتى استولى عليها ، وقتل من أهلها رجالاً ، وأخذ منها أموالاً ، وأسر بعض رؤسائها عاماً كاملاً ، في مكة ، ثم أطلقهم بعد ان تعهدوا له بدفع مُقَرَّرٍ سنوي. وأمَّر في البلدة رجلاً يدعى (محمد بن عثمان بن فضل) يصفه العصامي قائلاً [١] : (حيث لم يبق من بيت سلطنتهم إلا هذا) .

ويسجل أحد شعراء مكة ـ محمد بن علي بن اسماعيل الطبري (٩٣٢ ـ ١١١٠ ﻫ) ـ هذه الوقعة ،

---

(١) سمط النجوم (٤ / ٣٦٨) .

ووقعة أخرى في نواحي الخرج ، بقصيدة يقول فيها :

ويحسب الناسُ من أهل (البَديع) ومن
أهل (السليمية) الغبرا ، و (معكانا)
أو (آل خالد) من أهدى ضَلَالُتهُمْ
نفوسَهُم فغَدوا هَدْياً ، وقُرْبَانَا[1]

---

(١) أورد القصيدة كاملة ابن فتح الله الحلبي ثم المكي في كتابه : (فوائد الارتحال ونتائج السفر) في ترجمة الشاعر المذكور .

بَين بَلْدَتي «مِعْكال» و «مقرن»

لا أدري هل قول الشاعر العامي (النبطي) :

ياما حَلى — والشمْس بادٍ شَعَقْها
ضَرْبَ (الهَنَادِي) بَيْن (مُقْرِنْ) و (مِعْكَالْ)

هل يدل على حدوث فتن وحروب بين هاتين القريتين ، اللتين كانتا محلتين من محلات مدينة (حَجْر) القديمة؟! إلا أن الباحث لا يجد ذكراً لبلدة (معكال) التي يدل حصار شريف مكة لها ، مع كثرة جنده ، في القرن العاشر — على قوتها. وإنما يجد نتفاً من الأخبار تتعلق بقرية (مُقْرِنْ)

ففي ربيع الأول من عام ١٠٣٣ قتل أولاد مفرج ابن ناصر (صاحب بلدة مقرن) حسب تعبير مؤرخ نجد ابن بشر .

ثم استيلاء (آل مُدَيْرِس) في سنة ١٠٣٧ على هذه البلدة .

وفي سنة ١٠٥٦ قتل محمد بن مهنا أمير مقرن .

وفيسنة ١٠٩٩ تولى سلامة أبا زرعة بلدة مقرن .

ويظهر من اهتمام مؤرخي نجد بتسجيل هذه الحوادث ان بلدة (مُقْرِن)أصبحت قاعدة الاقليم ، بعد (معكال) .

ولا ينبغي أن تفوت الاشارة الى نص أورده ابن بشر في تاريخه ، هو أنه في سنة تسع واربعين وألف توفي قاضي الرياض أحمد بن ناصر[1] . إذ يفهم من هذا ان اسم (الرياض) بدأ اطلاقه على هذه المدينة في القرن الحادي عشر ، غير ان إبراز حوادث بلدة (مقرن) حتى نهاية هذا القرن يدل على عدم اطلاق اسم الرياض هذه المدينة في ذلك القرن ، وان ابن بشر يعني بلدة (مقرن) التي شملها في عهده اسم الرياض .

---

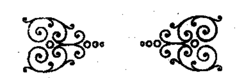
(١) عنوان المجد (١ / ٤٦) .

بَدْءُ بروزِ اسمِ الريَاض

استمرت امارة (آل زَرعة) في بلدة (مقرن) حتى كان آخرهم زيد بن موسى ، الذي توفي وخلف طفلاً صغيراً فتولى الامارة أحد مواليهم المدعو (خميس) ثلاث سنوات ، ثم قتل ، وحل محله دِهَام بن دوَّاس بن عبد الله آل شعلان ـــ من أهل منفوحة ، وكان صهراً لزيد بن موسى ، خالاً لابنه الصغير ، فتولى الامارة ، في أَول الأمر وصياً على الطفل ، ولكنه فيما بعد استبد بالأمر ، وحكم هذه البلدة قرابة ثلاثين سنة .

وفي هذه الحقبة برز اسم الرياض ، بعد زوال اسم حجر عنها ، وانحصاره في جزء صغير من موضع المدينة القديم ، وما زال يتقلص حتى صار علماً لبئر كانت تقع على الضفة الغربية من وادي (الوتر) المعروف الآن باسم

(البطحاء) في داخل مدينة الرياض في هذا العهد . فيما بين شارعي الملك سعود ، والملك فيصل ، وسط أبنية دكاكين وزير المالية في عهـد الملك عبد العزيز ، الشيخ عبد الله بن سليمان ـ رحمهما الله تعالى .



مَدينة الرياض تقوم على أطلال حَجْر

وفي القرن الثاني عشر اطلق اسم الرياض على ما بقي من المحلات القديمة من مدينة حجر : (معكال) و (مقرن) و (العود) وغيرها ، وما حولها من الأرض الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق . تتخلل مدينة حجر ، وتطيف بها ، فغمرت ، ثم صارت مجمعاً للسيول ، إبان نزول الأمطار ، تجود بمختلف النباتات في زمن الربيع ، ولهذا صارت تدعى (الرياض) .



"الرياض" في عهد دهام بن دوّاس

وقد جرى لهذه المدينة في عهد دهام بن دواس أحداث عظيمة منها :

(١) ــ انه ادار على تلك المحلات المتناثرة سوراً لا تزال آثاره باقية في بعض جهات المدينة ، وبنى القصر الذي أصبح فيما بعد مقراً للامارة والحكم حتي هدمه ابن رشيد في شهر صفر سنة ١٣٠٩ . وكان بناء الحصون وتشييد القصر والسور حوالي سنة (١١٦٠ هـ) عندما استعرت نار الحرب بينه وبين الدولة السعودية ابان قيامها بنصرة الدعوة الاصلاحية الدينية التي كان دهام من أشد المعارضين لها .

(٢) توالت الحروب على هذه المدينة قرابة ٢٨ سنة من عام ١١٥٩ الى عام ١١٨٧ ــ وبلغ عدد الغزوات التي شنها الامامان محمد بن سعود وابنه عبد العزيز نحو خمس

وثلاثين غزوة قتل فيها من الفريقين أربعة آلاف وها هو بيان تلك الغزوات : ـــ

سنة	
١١٥٩	١ ـــ وقعة غير مسماة
	٢ ـــ وقعة الشِّيَّاب
	٣ ـــ وقعة (الوِشام)
	٤ ـــ وقعة العَبِيد
١١٦٠	٥ ـــ وقعة دَلْقة. وتسمى وقعة (الشِّراك) وهو موضع في الرياض
	٦ ـــ وقعة (البَنِيَّة) موضع معروف في الرياض . جاء المهاجمون مع وادي (الوُتْرِ) بين البَنِيَّة وبين (العَوْد)
	٧ ـــ وقعة (مُقْرِن) و (صِياح)
	٨ ـــ وقعة (الخُرَيْزَة) في صِياح)

١١٦٢ ٩ ـ وقعة (الحُبُونِيَّة) نخل معروف في الرياض

١١٦٣ ١٠ ـ وقعة (البُطَيْحاء) ومكان الوقعة (المَرْوَة)

١١٦٤ ١١ ـ وقعة غير مسماة

وبعدها هُدنة وصلح مع دهام في عام ١١٦٨ ـ انتقض الصلح .

١١٧٠ ١٢ ـ وقعة (الرشاء) قرب منفوحة

١٣ ـ وقعة الباب القبلي في الرياض .

١٤ ـ وقعة (البَنِيَّة)

١٥ ـ وقعة غير مسماة

١٦ ـ وقعة (ام العصافير) واختفى الكمين في (القبة)

١٧ ـ وقعة (البنية) الثالثة . وبناء قصر (الغزوانة) لمضايقة الرياض

١١٧٣	١٨ــ وقعة (آل ريّس)
١١٧٤	١٩ــ وقعة غير مسماة
	٢٠ــ وقعة ليلة العيد
١١٧٥	٢١ــ وقعة (مُقرِن)
١١٧٦	٢٢ــ وقعة غير مسماة
	٢٣ــ وقعة غير مسماة
١١٧٧	هدنة وصلح
١١٧٩	نكث وارتداد من دهام
	٢٤ــ وقعة (بروج جصّان)
١١٨٠	٢٥ــ وقعة العِدْوة
	٢٦ــ وقعة (البنية)
١١٨١	٢٧ــ وقعة (المُشَيْقِيق)
	٢٨ــ وقعة (المجوز) مكان في الرياض
١١٨٢	٢٩ــ وقعة غير مسماة
١١٨٥	٣٠ــ وقعة غير مسماة

٣١ــوقعة قتل ابن دواس في صفــاة الظهرة بين (عرقة) و (الفوارة)

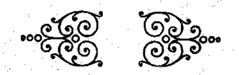
٣٢ــوقعة غير مسماة

١١٨٦ ٣٣ــوقعة غير مسماة

٣٤ــوقعة غير مسماة

١١٨٧ ٣٥ــوقعة (هدم المرقب) في الرياض .

وبعدها في شهر ربيع الثاني هرب دهام من الرياض. ودخلها الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود بن مقرن ــ رحمه الله ــ وولى الأمير عبد الله بن مقرن بن محمد بن مقرن ــ امارتها .



مَدينَةُ الدِرْعِيَّةِ تُصْبح قَاعِدَة للبِلاد

أرهقت الفتن والحروب مدينة الرياض في القرن الماضي . وضعف شأنها منذ أن أصبحت مدينة (الدرعية) قاعدة للمملكة ، من سنة ١١٥٨ الى سنة ١٢٣٣ ـ عندما استولى عليها الغزاة المصريون . وكان موقف أمير الرياض اثناء حصار الدرعية غير مشرف ، ويتحدث ابن بشر ـ في تاريخه عن الحصار فيقول[١] : ولما كان وقت نضوج ثمرة النخيل ، أرسل الامام عبد الله بن سعود الى عِرْقَة مائة رجل ، ليحفظوا ثمرتها ، فسار اليهم الباشا بعسكر كثير ، ومعه أمير الرياض ناصر بن حمد بن ناصر العائذي ، ومعه عدة رجال من أهل الرياض ، واهل منفوحة ، واهل الخَرْج وغيرهم ، فحاصر من فيها ، واخرجهم . انتهى .

---

(١) عنوان المجد (١ / ٢٠٢) .

وعندما قام محمد بن مشاري بن معمر واستولى على الدرعية ـ بعد رحيل الغزاة عنها ـ في آخر عام ١٢٣٤ ـ كان أمير الرياض العائذي من المعارضين له ـ حتى ثار الامير مشارى بن سعود على ابن معمَّر في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥ . فانقاد العائذي له .

ولكن أمر مشارى لم يتم ، فألقى ابن معمَّر القبض عليه ، وسار إلى الرياض فدخلها وأمَّر فيها ابنه مشارى بن محمد .

ثم قام الامام تركي بن عبد الله آل سعود ، واستولى على الدرعية ، في شهر ربيع الأول من السنة نفسها (أي سنة ١٢٣٥) ثم على الرياض. بعد أن القى القبض على مشاري أميرها ، وقتله مع أبيه في آخر شهر ربيع الأول

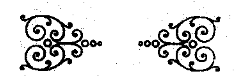
غير أن الامام تركي لم يستقم في الرياض ؛ فقد هاجمه غزاة من العساكر المصرية بقيادة خليل آغا ، ومعهم فيصل الدويش .

ثم قدم لهم مدد بقيادة حسين بك أبو ظاهر في سنة ١٢٣٦ . فدخلوا المدينة ، وحاصروا الامام (تركي) في قصره ، ولكنه هرب ليلا ، فعاثت العساكر ومن معهم من البادية في المدينة ، وعاملوا أهلها معاملة سيئة ، وقتل منهم نحو سبعين رجلا ، نزلوا من القصر بالأمان ، ولكنهم عوملوا بالخيانة . ولما استولى أبو ظاهر عليها أعاد أميرها ناصر بن حمد بن ناصر العائذي لأمرتها ، وجعل عنده حامية من العسكر بقيادة أبي علي البهلولي المغربي .

ثم أمد هذه الرتبة بمدد بقيادة ابراهيم كاشف أبي ظاهر ، اخيه ، وذلك في سنة ١٢٣٧ . فقام ابراهيم هذا ، ومعه أمير الرياض في شهر ذي الحجة من هذا العام بغزو قبيلة (سُبيع) في (حائر سبيع) ولكن هذه القبيلة هزمت الغزاة شر هزيمة ، وقتلت منهم أكثر من

ثلاثمائة ، ومن القتلى أمير الرياض ، ناصر بن حمد العائذي فتولي أخوه عبد الله بن حمد الامارة .

وفي سنة ١٢٣٨ ـ استقر الامام فيصل بن تركي في بلدة (عرقة) وانقاد له بعض زعماء نجد ، فسار اليه أبو علي البهلولي المغربي ، بمن معه من العساكر واهل الرياض في أول عام ١٢٣٩ فحاصر (عرقة) ، ولكنها صمدت لهم ، حتى رجعوا خائبين .



"الرياض" تصبح قاعدة للبلاد

وفي سنة ١٢٤٠ ـــ سار الامام تركي إلى الرياض ، وحاصر من فيهـــا من العساكر وامر باتلاف زروعها وصرام نخيلها . وبعــد شهر من الحصار ، أقبل فيصل الدويش مدداً لأهل الرياض ، ففك عنها الحصار ، وبعد خروج الدويش منها بعد أن أقام فيها شهراً ـــ أعاد الامام فيصل الحصار عليها ، وشدده ، حتى طلب قائد الحامية المصرية أبو علي البهلولي المغربي الصلح ، فأجابه الامام فيصل الى ذلك على خروج العساكر من المدينة وعودتهم إلى بلادهم ، وتأمين جميع المحاربـين معهم ، ومنهم أمير الرياض عبــد الله بن ناصر العائذي ، فتم ذلك ، وعين الامام تركي ابن عمه مشارى بن ناصر بن مشارى بن سعود أميراً في الرياض ، يرتب شؤونهـا ، ويضبط أمورها ،

حتى انتقل الامام اليها واتخذها قاعدة للملك. من منتصف هذا العام (١٢٤٠ هـ) .

ومنذ ذلك العهد حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري . أصبحت مدينة الرياض قاعدة للدولة السعودية في دورها الثاني ، أي قرابة ستين سنة ــ ولكن هذا الدور كان مشحونـــاً بالقلاقل والحروب ، والخلافات الداخلية ، مما نجمل ذكر بعضها فيما يلي :

١ ــ في آخر ذى الحجة من عام ١٢٤٩ هـ ــ قتل الامام تركي ، قتله ابن عمه ــ وابن اخته ــ مشارى بن عبد الرحمن بن مشارى بن سعود . واستولى على الرياض اربعين يوماً ثم قتل في ١١ صفر سنة ١٢٥٠ ـ وتم الأمر للامام فيصل بن تركي الى آخر عام ١٢٥٢ حينما قدمت العساكر المصرية بقيادة اسماعيل آغا ومعه خالد بن سعود الى نجد ، فانقاد له كثير من زعمائها فخرج الامام فيصل من الرياض في يوم الخميس في ٢٤ ذى الحجة سنة ١٢٥٢ .

"الرياض" في عهد الإمام فيصل رحمه الله

وفي ٧ صفر سنة ١٢٥٣ وصلت الجيوش المصرية الرياض فنزل اسماعيل وخالد القصر ، وبقيت الحرب سنة ١٢٥٤ حيث أرسل (خورشيد باشا) فوجاً آخر من العساكر المصرية بقيادة ملا سليمان الكردي فحل هذا الفوج محل اسماعيل آغا وعسكره الذين انهكتهم الحرب فرجعوا الى مصر .

وقد قاست هذه المدينة ضيقاً وشده اثناء الحرب بين الامام فيصل وبين خالد ومن معه من العساكر ، فإن الامام فيصل بعد أن علم بالهزيمة الشنعاء التي مني بها خالد ، وعسكره ، من اهل (الحلوة) و (الحوطة) و (الحريق) في منتصف شهر ربيع الثاني سنة ١٢٥٣ هـ هاجم مدينة الرياض في أول جمادى الآخرة ، وحاصرها اكثر من سبعين يوماً وقطع عنها السبل ، فلقي أهلها شدة وعناء ،

حتى أكلوا لحوم خيل العساكر، ثم رحل عنها الامام فيصل حينما علم بقدوم مدد لها، مع فهيد الصييفي رئيس قبيلة سبيع.

وفي أول رجب من هذا العام قدم (خورشيد باشا) بما معه من الجنود الى الرياض، وسار منها ومعه خالد لحرب الامام فيصل في الدَّلم في (الخرج) وبعد معارك بين الفريقين تم بينهما الصلح في آخر شهر رمضان، وأخذ الامام فيصل أسيراً الى مصر، وبقي خالد والياً على نجد من قبل العساكر المصرية، إلا أن القسم الجنوبي (الحوطة والحريق) لم يذعن له.

وفي شهر شعبان سنة ١٢٥٧ هـ - عندما شاهد استياء أهل نجد من معاملة العساكر السيئة، وكراهيتهم لهم خرج من الرياض، وأقام فيها أميراً حمد بن عيَّاف، الا أن أحد آل سعود وهو الامير عبد الله بن ثنيان بن ابراهيم ابن ثنيان بن سعود، قد نجح في ثورته ضد أولئك،

فانتصر عليهم بعد معارك بين أنصاره وبين من في الرياض من الجند ، واستولى عليها في شهر شوال من عام ١٢٥٧ ه ثم استقام له الأمر في نجد الى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٥٩ ـ حيث قدم الامام فيصل من مصر ، وتم له الاستيلاء على المدينة ، وتوفي ابن ثنيان في سجنه في منتصف جمادى الآخرة .

وقد استقام الأمر للامام فيصل حتى توفي في ٢١ رجب ١٢٨٢ ه فخلفه ابنه الامام عبد الله .

وفي السنة الأولى من عهده أمر ببناء القصر المعروف الآن باسم (المصمك [١]) وحل محل قصر دهام الذي كان مقراً للحكم ما يقارب ٨٠ عاماً .

ويضطرنا تسجيل حوادث هذه المدينة ، وتدوين

---

(١) المُصْمَك : المسمك أي الرفيع ، ومنه قول الفرزدق :
ان الذي سمك السماء بنا لها بَيْتاً دعائِمهُ أعزُّ وأطولُ
ويجوز أن يكون من (المُصْمَت) أي الذي لا ينفذ اليه .

تاريخها إلى الاشارة الى الخلاف بين الامام عبد الله بن فيصل وبين أخيه سعود ، ثم ابناء أخيه ، ذلك الخلاف الذي لم يكن من اثره السيء ، تعرض هذه المدينة لكثير من ضروب الأذى فحسب ، بل كان سبباً في زوال حكم تلك الاسرة الكريمة .. في الماضي . ولن نشير من هذه الناحية ـــ الا لما له صلة بتاريخ الرياض .

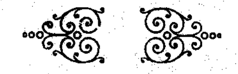
ففي عام ١٢٨٨ ـ اثناء دخول سعود بن فيصل المدينة وخروج الامام عبد الله منها حصل من الغزاة الذين معه ـ وجلهم من البدو من العجمان وغيرهم ـ عبث وفساد ، مما اوغر الصدور على سعود فحـــاصره أهل الرياض ، بقيادة عمه عبد الله بن تركي بن عبـد الله حتى طلب الامان على ان يترك البلاد ، وتولى عبـد الله بن تركي امارتها حتى رجع اليهـا الامام عبد الله . فاستقبله أهل المدينة بالغبطة والسرور . وقـــد بعث سرية الى الخرج لحمايتها ، ولكن سعوداً هزمها وكان ممن اسر من رجالها

عمه عبد الله بن تركي ـ الذي تولى امارة الرياض ـ فمات أسيراً في شهر ذى القعدة سنة ١٢٨٩ هـ .

يقول الأمير سعود بن هذلول في « تاريخ آل سعود » واصفاً ما جرى للرياض حين دخلها سعود سنة ١٢٨٨ ـ ص ٣٤ : (فلما علم عبد الله بمقتل رجاله [في الجِزْعة] وأخذ الأموال التي معهم ، هرب من الرياض ، وتركها للفوضى ، وقصد قحطان ، فدخل سعود الرياض دون مقاومة ، واستولى عليها ونهبت جنوده الرياض ، وعاثت فساداً فيها ، واستأصلوا في نهبهم وسلبهم الى ما وراء الرياض ، بل وصلوا الى بلدة (الجُبَيْلة) ونهبوها ، وقطعوا نخيلها وخرّبوا دورها ، وتركوها خالية من السكان ، كما تشاهد اليوم) انتهى .

وبعد هزيمة الامام عبد الله في وقعة (الِجزْعة) في أول عام ١٢٩٠ ـ استولى سعود على الرياض ـ للمرة الثانية ـ وبايعه أهلها على السمع والطاعة . حتى توفي رحمه

الله ، في ٨ ذي الحجة سنة ١٢٩١ هـ . فقـــام بالأمر أخوه الامام عبد الرحمن الفيصل . حتى حصلت النفرة بينه وبين أبناء أخيه سعود فخرج من الرياض في أول سنة ١٢٩٣ هـ وقدم على أخيه الامام عبد الله ، وكان إذ ذاك مـع بادية عُتَيبة ، فأقبل غازياً الرياض ، فخرج منها أبنـــاء سعود ودخلها الامام عبد الله بن فيصل ، إلا أن المقـام لم يطـل به ، بسبب الخلاف الذي استشرى بين أفراد الأسرة ، وكان سبباً في استيلاء الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد على نجد بعد وقعة (أم العصافير) في ٢٨/٤/١٣٠١ هـ .



الأميرابنُ رَشِيد يَستولي عَلى الرِيَاض

وَيجعَل القاعِدَة مَدينَة "حَايِل"

تقلص نفوذ الامام عبد الله الفيصل حتى انحصر في (الرياض) و (الوشم) و (سدير) حتى كانت سنة ١٣٠٢ ﻫ حينما ثار أبنـــاء سعود عليه ، واستولوا على الرياض ، فسارع محمد بن رشيد الى نجدتـه ، وحاصر الرياض ، حصاراً شديداً عشرين يوماً ، حتى وقع الصلح على خروج أبناء سعود الى الخرج ، وخروج الامـام عبد الله من السجن ، وتولية الأمير محمد بن فيصل امـارة الرياض ، وإبقاء حامية فيها بقيادة سالم بن سبهان ، الذي عزله ابن رشيد . بعد قتله أبناء سعود في سنة ١٣٠٥ . وولى مكانه فهاد بن عويد بن رَخِيص الشمري (رخيص بفتح الراء وكسر الخاء) . ثم بعد وفاة الامام عبد الله الفيصل سنة ١٣٠٦ ، تولى الامام عبد الرحمن الفيصل الحكم ، وبايعه سكان (العارض) و (الْمِحْمَل) و (الشَّعِيب) وبلدان

الجنوب ، وسحب ابن رشيد حاميته من مدينة الرياض إلا أنه لم يمض على ذلك عام حتى أعاد ابن الرشيد سالم بن سبهان الى الرياض مرة ثانية ، فخشي الامام عبد الرحمن من أن يفتك به وبأقاربه ــ كما فعل بأبناء سعود في سنة ١٣٠٥ ــ فلما كان يوم عيد الأضحى من عـــام ١٣٠٦ هـ ألقى الامام عبد الرحمن عليه القبض هو ومن معه ، فغزا ابن رشيد الرياض ، وحاصرها اربعين يومـــاً ، وقطع نخيلها ، ودمَّر بساتينها وشدَّد عليها الحصار ، حتى تم الصلح بينه وبين الامام عبد الرحمن ، على اخـــلاء سبيل الأسرى الذين لديه ، وان يفرج ابن رشيد عن الأسرى الموجودين في حائل من آل سعود . وان تكون امـارة العارض والمحمل وسدير والوشم وبلدان الجنوب تابعـة للامام عبد الرحمن ، وان ينقل ابن رشيد حاميته مـن الرياض ، غير ان ابن رشيد عندما علم بخروج الامـام منها لنجدة أهل القصيم قبل وقعة (المُلَيْداء) سنة ١٣٠٨ هـ

أرسل الى الرياض حامية بعد حدوث الوقعة وانتصاره فيها ، بقيادة فهاد بن عيادة بن رَخِيص ، وجعـــل امرة الرياض لمحمد بن فيصل . وعندما همَّ الامام عبد الرحمن باسترجاع الرياض فاجأه الأمير ابن رشيد بغزوها . وذلك في شهر صفر سنة ١٣٠٩ فاحتل المدينة وأمر بهدم اسوارها وقصريها القديم والجديد . وأقام فيها أميراً محمد بن فيصل حتى توفي سنة ١٣١١ هـ .

وقد أصبحت الرياض في العهـــد الرشيدي تابعة لامـارة حائل عشر سنوات وذلك من عام ١٣٠٩ الى ٣ شوال سنة ١٣١٩ ـــ وليس لها من شأن يستحق الذكر .



الرياض تستعيد مجدها
في عهد الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل

حاول الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ــ عندما قام لاسترجاع ملك آبائه واجداده ــ الاستيلاء على الرياض في سنة ١٣١٨ هـ ــ فسار بثلة من الجنود ــ حتى هجم على المدينة فاستسلمت له ، الا ان حاميتها الرشيدية بقيادة عبد الرحمن بن ضبعان استعصت عليه داخل القصر ، فحاصرها أربعين يوماً ، وفي اثناء الحصار علم الامام عبد العزيز بانتصار خصمه ابن رشيد على حليفه مبارك بن صَباح في وقعة (الصَّرِيف) ففك الحصار عن قصر الرياض . وقفل راجعاً الى الكويت .

بعد وقعة (الصَّرِيف) وتسمى أيضاً (وقعة الصُّرْفِية) لوقوعها بقرب هذين الموضعين وكانت في ١٧ / ١١ / ١٣١٧ هـ نقل عبد العزيز بن متعِب بن رشيد أميره في الرياض عبد الرحمن بن ضبعان الى بريدة ، وولى

مكانه عجلان بن محمد وبعث سالم بن سبهان الى الرياض ، ويقول الأمير سعود بن هذلول ــ في تاريخ آل سعود ــ ان ابن سبهان سام أَهل الرياض سوء العذاب بمصادرة الأموال ، والتنكيل بالرجال .

والحق ان مدينة الرياض منذ منتصف القرن الثاني عشر ظلت مسرحاً للفتن والاضطرابات ، فقاسى سكانها من ذلك ما لم يقاسه سكان مدينة أخرى ، حتي استولى عليها الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن في اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩ هـ وقتل أميرها من قبل ابن رشيد ، عجلان بن محمد ، فدخلت هذه المدينة منذ ذلك الحين في طور جديد ، فأصبحت قاعدة للملك ، وبدأت في الاتساع ، وقويت فيها حركة العمران ، ودخلتها وسائل الحضارة الحديثة ، وكثرت فيها القصور المشيدة المجهزة بالآلات الكهربائية ، وزاد سكانها، فاعيد تخطيطها حتى أصبحت تشمل مساحة واسعة من الارض .

تغيّر طراز العمران في "الرياض"

وتغير طراز العمران فيها ـ تبعاً لتطور وسائل الحضارة ، فقد كانت هذه المدينة الى ما قبل عشرين عاماً (سنة ١٣٦٠ هـ) لا يستعمل فيها للبناء غير الطين واللبن وتستعمل الحجارة نادراً ، وكانت طريقة البناء لا تسير على نظام معين أو طريقة مرسومة ، ولهذا كثرت فيها الشوارع الضيقة ، والأزقة المتعرجة التي قد لا تتسع الا لسير الأقدام ، مع تسقيفها ، والحيلولة دون انتشار النور ، أو نفوذ أشعة الشمس ، مما جعل كثيراً من بيوتها لا يتلاءم مع قواعد الصحة .

وكان البيت فيها عبارة عن بناء يتكون غالباً من بضع حُجَر ، من دورين (طابقين) أحدهما أرضي : وأبرز ما يحتوي عليه مكان استقبال الضيوف ، وهو أوسع مكان فيه ، ويسمى ان كان في الدور الارضي

(ديوانية) وان كان في الدور الثاني يسمى (رَوْشناً)
وتقل النوافذ ، بل تنعدم في كثير من البيوت ، الا من
نافذة واحدة ، ذات ثقوب ضيقة تتسع للعين وحدها ـــ
تسمى (طارمة)، وتكون فوق مدخل البيت ليشاهد
الطارق منها ، قبل السماح له بالدخول ، ويحوي البيت
حوشاً للبقرة ، التي قل أن يخلو منها بيت ، وحجراً تزيد
وتنقص بحسب حالة صاحب البيت الاجتماعية .

ومادة البناء الاساسية الطين واللبن ، ويخلط الطين
بالتبن لكي يتماسك من الذوبان ، عند نزول الأمطار .
وتتخذ الأبواب من خشب الأثل ، أو من جذوع النخل ،
من صناعة محلية ، وقد تلبس أبواب الحصون والقصور
بالحديد ، وتبنى أسسها من الحجارة ، وهذا نادر جداً ،
وتغلب البساطة في جميع مظاهر العمران غير أن المكان
المهيأ لاستقبال الزوار والضيوف يطلى داخله بالجُصِّ

المنقوش بأشكال دوائر ، أو مربعـات ، أو مثلثات ، وينقش سقف المكان بالأصبَاغ اللامعة ، بالسواد أو بالحمرة وبهما معاً ، وقل ان كنت ترى في هذه المدينة ـــ قبل عام ١٣٦٠ بيتاً خرج عن هذا النظام [1].

---

(١) يجد القارىء – في آخر الكتاب – مجموعة من صور القصور ، في عصور مختلفة ، تكون لديه فكرة عـــن تطور العمران ، وطراز البناء القديم .

اتساع المدينة، وإزالة سورها

كانت مدينة الرياض محاطة بسور مبني من الطين واللبن، أقامه الملك عبد العزيز بعد استيلائه عليها في شهري شوال وذي القعدة سنة ١٣١٨ . واستغرقت مدة بنائه أربعين يوماً، وفيه أبواب المدينة في جوانبها وجهاتها:

فمن الشرق (باب الثُّمَيري) نسبة الى رجل من أهل حريملاء، قتل عند هذا الباب في عهد قيام الدولة السعودية في دورها الأول .

والباب الشمالي يدعى (باب آل سويلم) منسوب الى أسرة معروفة بهذا الاسم من أشهر أسر المدينة واعرقها لسكنها جوار هذا الباب .

والباب الجنوبي يدعى (باب دُخْنة) لمجاورته لبئر تعرف بهذا الاسم كان يستقى منها ماء الشرب .

والباب الغربي يدعى (باب المذبح) لكون الجزارين والقصابين يذبحون الابل والبقر والغنم خارجه ، ثم ينقلون الذبائح الى داخل البلدة .

والباب الجنوبي الغربي يدعى (باب الشُّمَيسي) لاتصاله بمحلة من المحلات خارج المدينـة ، تدعى بهذا الاسم .

ويسمي أهـل هذه البلدة الباب (دروازة) تأثراً باللغـة الفارسية لكثرة اتصال هـذه المدينة ببلاد فارس للمتاجرة .

وفي منتصف هذا القرن بدأ العمران في الرياض خارج سورها ، بسبب ازدياد السكان ، وتطور الحياة فيها فانشىء قصر المربّع ، في الجهة الشمالية ، ودعي بهذا الاسم لإحاطته بأبراج مربعة الشكل ، وقد بني باللبن والطين واتخذه الامام المغفور له عبد العزيز آل سعود مقراً لسكناه هو وحرمه ، وبقي القصر القديم ، الذي شيد في عهده مخصصاً

لاستقبال الوافدين والضيوف .

واتخذ مماليك الامام عبد العزيز في الجهة الشرقية من المدينة محلة خاصة بهم عرفت فيما بعد باسم (حلة العَبِيد) .

وجاورهم من الشمال ومن الشرق اناس جلبهم من أهل القصيم . فصارت محلهم تدعى (حلة القصمان) ثم توسع البناء والعمران في كل ناحية من نواحي المدينة . ولا سيما الجهتين الغربية والشرقية ، ثم الشمالية فيما بعد . إلا ان طراز البناء ، ووضع الشوارع مكث على حالته القديمة ، رغم تأسيس ادارة للبلدية تعنى بنظافة البلدية وتنظيمها وذلك في سنة ١٣٥٢ هـ .

وفي عام ١٣٧٠ ازيل السور الذي كان محيطاً بالمدينة نظراً لاتساعها وبناء محلات جديدة خارجه .

وفي عام ١٣٧٣ هـ انشئت (أمانة مدينة الرياض) واسندت رئاستها الى رجل حازم من الاسرة السعودية الكريمة هو الأمير فهد الفيصل فقامت في المدينة حركة

عمرانية عظيمة ، شملت جميع المرافق العامة ، وخططت مدينة الرياض تخطيطاً جديداً بشق الشوارع الواسعة ، واقامة الميادين الفسيحة ، وتجميل المدينـــة بالحدائق ، وتشجير شوارعها وميادينها ، وجرّ المياه العذبة وادخالها في بيوتها[1] .

---

(١) ثم في سنة ١٣٨٤ عيِّن (مجلس بلدي) يشرف على تنظيم المدينة، واصلاحاتها ، مع (أمانه مدينة الرياض) التي أسندت رئاستها في منتصف عام ١٣٨٦ ، الى شاب مثقف ، من الأسرة السعودية الكريمة ، هو الاستاذ عبد العزيز آل ثنيّان .

ومنذ هذا العهد دخلت المدينة في طور جديد من أطوار العمران ، حتى أصبحت تضارع كبريات المدن في كثير من مظاهر الحضارة ، فوسعت شوارعها ، وانيرت بالكهرباء ، وتعهدت بالتنظيف والتنسيق ، وانتشرت في المدينة المقاهي ، وانشئت فيها الفنادق ، وازدهرت حركة العمران فيها ، وخاصة بعد انتقـــال وزارات الدولة ودوائرها الرسمية منذ عشر سنوات اليها .

الماء في الرياض :

كانت مدينة الرياض ـــ الى عام ١٣٧١ هـ تعول في ماء الشرب على الآبار الواقعة داخل البلدة ، ولم تكن المياه فيها متوفرة وكافية كل وقت ، فقامت الحكومة في عام

١٣٧١ ﻫ بجر المياه من مكان غرب البلدة في الوادي المعروف قديماً بـ (العرض) وحديثاً باسم (الباطن) ومن مكان آخر يدعى (السُّويدِى) يبعد عن المدينة خمسة أكيال (كيلومترات) غير أن كمية ذلك الماء اصبحت غير كافية لما تتطلبه حاجة هـــذه المدينة التي أصبحت تتوسع ، وتزداد بشكل مدهش . فجرى مد الماء من مكان يقع جنوب الوادي ويدعى (الحائر) ومن مسافة تقارب الـ ٢٠ كيلاً . ثم حفر آبار متعددة في نواحي المدينة باعماق منخفضة جداً ، وركب فوقها مضخات واصبحت هذه الآبار روافد للمياه التي تصل من الوادي من غربه وجنوبه .

الكهرباء :

وقد انشأت الحكومة منذ بضع عشرة عاماً محطة

لتوليد الكهرباء في محلة (الشُّميسِي) لإنارة المباني والقصور الحكومية ، كما أنارت قسماً كبيراً من منازل الأهالي ، من الامراء والموظفين وغيرهم .

ونظراً لعدم كفايتها ، فقد تم تأسيس شركة مساهمة تتولى مشروع إنشاء محطة كهربائية ، تفي بحاجة المدينة وفعلاً تمت انارة المدينة ، وتزويدها بالكهرباء من قبل (شركة الكهرباء الوطنية) في سنة ١٣٧٤ هـ .

الصحة :

في عام ١٣٤٧ هـ انشىء أول مستشفى في هذه المدينة، في محلة (القري)ـ بفتح القاف وكسر الراء بعدها ياءـ وبعد فترة طويلة من الزمن انشئت مستشفيات أخرى منها (المستشفى العسكري) و (مستشفى الشميسي) و (مستشفى الملك عبد العزيز) و (المستشفى المركزي).

وسائل العلم والثقافة

التعليم :

كانت مدينة الرياض موئل القاصدين من مختلف البلدان لتلقي العقيدة السلفية على علمائها ، ورثة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، منذ أن أصبحت قاعدة للحكم ، من عهد الامام فيصل الى عهدنا الحاضر ، وكان ملوكها يغدقون على طلبة العلم كثيراً من الفضل ، فيقررون لهم من المرتبات الشهرية ما يقوم بحاجتهم ، فكان طلاب العلم يأتون من جميع أنحاء المملكة للدراسة والتحصيل ، ثم يعودون الى بلادهم بعد الارتواء من مناهل العلم الديني على يد علمائها ، حتى قل أن تجد في بلاد نجد عالماً أو قاضياً لم يتلق علومه في الرياض على آل الشيخ وغيرهم من العلماء .

وكان في المدينة عدد من الكتاتيب لتعليم مبادىء القراءة والكتابة ، وتهتم بتحفيظ القرآن ، قبل كل شيء ولا تعنى بغيره .

المدارس الحديثة :

أما المدارس الحديثة فان عهد هذه المدينة بهايبتدىء من عام ١٣٥٠ هـ ــ حيث أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بفتح مدرسة لابنائه في مكان مجاور لمجلسه في قصر الحكم في (الدِّيرة) ــ تولى ادارتها فضيلة الاستاذ السيد أحمد العربي ، ثم فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الله الخياط .

وفي سنة ١٣٦٠ ــ أنشأ الأمير منصور بن الملك عبد العزيز ــ رحمهما الله تعالى ــ حينما كان أميراً للقصور الملكية ــ أول مدرسة عامة منظمة .

ثم في سنة ١٣٦٨ قامت مديرية المعارف العامة بفتح

مدرستين ابتدائيتين وما زال عدد المدارس الابتدائية يزداد حتى أوجدت في كل محلة مدرسة .

تنظيم التعليم الديني

وفي سنة ١٣٧٠ ﻫ انشئت أول مدرسة (ثانوية) في الرياض . وبعد افتتاح المدارس الحديثة في البلاد أصبح التعليم الديني بحاجة الى التنظيم . فأمر المغفور له الملك عبد العزيز بفتح معهد يعنى بهذه الناحية . ويكون وسيلة لتطوير هذا النوع من التعليم ، باشراف الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ، وقد تم فتح ذلك المعهد في سنة ١٣٧١ﻫ ثم فتحت له فروع أخرى في بعض مدن المملكة ، والحق به كليتان احداهما (كلية العلوم الشرعية) والأخرى (كلية اللغة العربية) .

الجامعة والكلية الحربية

وفي سنة ١٣٧٤ ـ افتتحت (كليـــة عبد العزيز العسكرية) تابعة لوزارة الدفاع والطيران .

وفي عام ١٣٧٧ ـ افتتحت أول جامعة في المملكة، في مدينة الرياض .

ثم انتشرت المدارس ومعاهد العلم في هذه المدينة .

المكتبات :

أما المكتبات فان العادة التي سار عليها حكام نجد ان العالم إذا توفي أحضرت كتبـه إلى الرياض ، ليطلع عليها العلماء، ولان طلبة العلم الذين يدركون قيمة الكتب أكثرهم في هذه المدينة . ولهذا اجتمع لدى العلماء عدد كبير من الكتب ، فاصبح لدى الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مكتبة غنية بنوادر المخطوطات ،

ومثلها مكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ، الا انها أضخم منها ، اكثر عدداً ، ومكتبة الشيخ حمد بن فارس ، ومكتبة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، وغيرهم من العلماء .

ولكن عهد الرياض بالمكتبات العامة بدأ في سنة ١٣٦٣ هـ ـ حيث انشأ الأمير مساعد بن عبد الرحمن الفيصل أول مكتبة عامة في هذه المدينة ، جمع لها مجموعة طيبة من الكتب ، وخصص لها جانباً في بيته ، وعين فيها موظفاً ، واباح لكل زائر الانتفاع بها في المطالعة .

وفي سنة ١٣٧٣ هـ ـ افتتحت المكتبة السعودية ـ تحت اشراف كبير العلماء ومفتي البلاد الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، مجاورة لمسجد فضيلته .

ثم توالى فتح المكتبات . ففتحت (امانة مدينة الرياض) مكتبة عامة . الحقت فيما بعد بوزارة المعارف.

وفتحت الوزارة نفسها مكتبة عامة أخرى . وفتحت (جامعة الرياض) مكتبة تابعة لها .

الطباعة والصحافة :

يبتدىء تاريخ الطباعة في مدينة الرياض عام ١٣٧٤ هـ فقد قام جماعة من أهل البلاد بتأسيس شركة دعوها (شركة الطباعة والنشر الوطنية) قامت بانشاء مطابع ، أطلق عليها اسم (مطابع الرياض) وبدأ استعمال هذه المطابع في ٢٦/٨/١٣٧٤ هـ ثم استمر انشاء المطابع بعد ذلك التاريخ .

أما أول صحيفة انشئت في مدينة (الرياض) فهي مجلة (اليمامة) التي صدر عددها الأول في شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٢ هـ مطبوعاً في مصر ، ثم صارت تطبع في مكة ، ثم في لبنان . وفي عام ١٣٧٤ طبعت في مطابع الرياض .

ثم في غرة صفر من عام ١٣٧٥ هـ صدرت بشكل صحيفة أسبوعية في ثماني صفحات . ولا تزال مستمرة في الصدور .

واصدرت وزارة المعارف مجلة (المعرفة) في رجب ١٣٧٩ هـ . وقبلها أصدرت (الجامعة) مجلتها باسم (مجلة جامعة الملك سعود) دورية ليس لصدورها زمن محدد .

وفي شهر جمادى الآخرة عام ١٣٧٩ هـ صدر العدد الأول من جريدة (القصيم) .

ثم صدرت مجلة (الجزيرة) في مطلع شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٩ هـ وأصبحت جريدة في عام ١٣٨٣ هـ فصدر عددها الأول في ٢٠/٢/٨٤ واستمر صدورها حتى الآن .

وفي آخر عام ١٣٧٩هـ صدرت مجلة (راية الاسلام)

ثم احتجبت هي ومجلة (المعرفة) وجريدة (القصيم) .

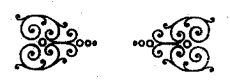
وفي غرة المحرم سنة ١٣٨٥ صدرت جريدة يومية تدعى (الرياض) في مدينة الرياض وجريدة أسبوعية باسم (الدعوة) ، صدرت أيضاً في مطلع هذا العام (١٣٨٥) .

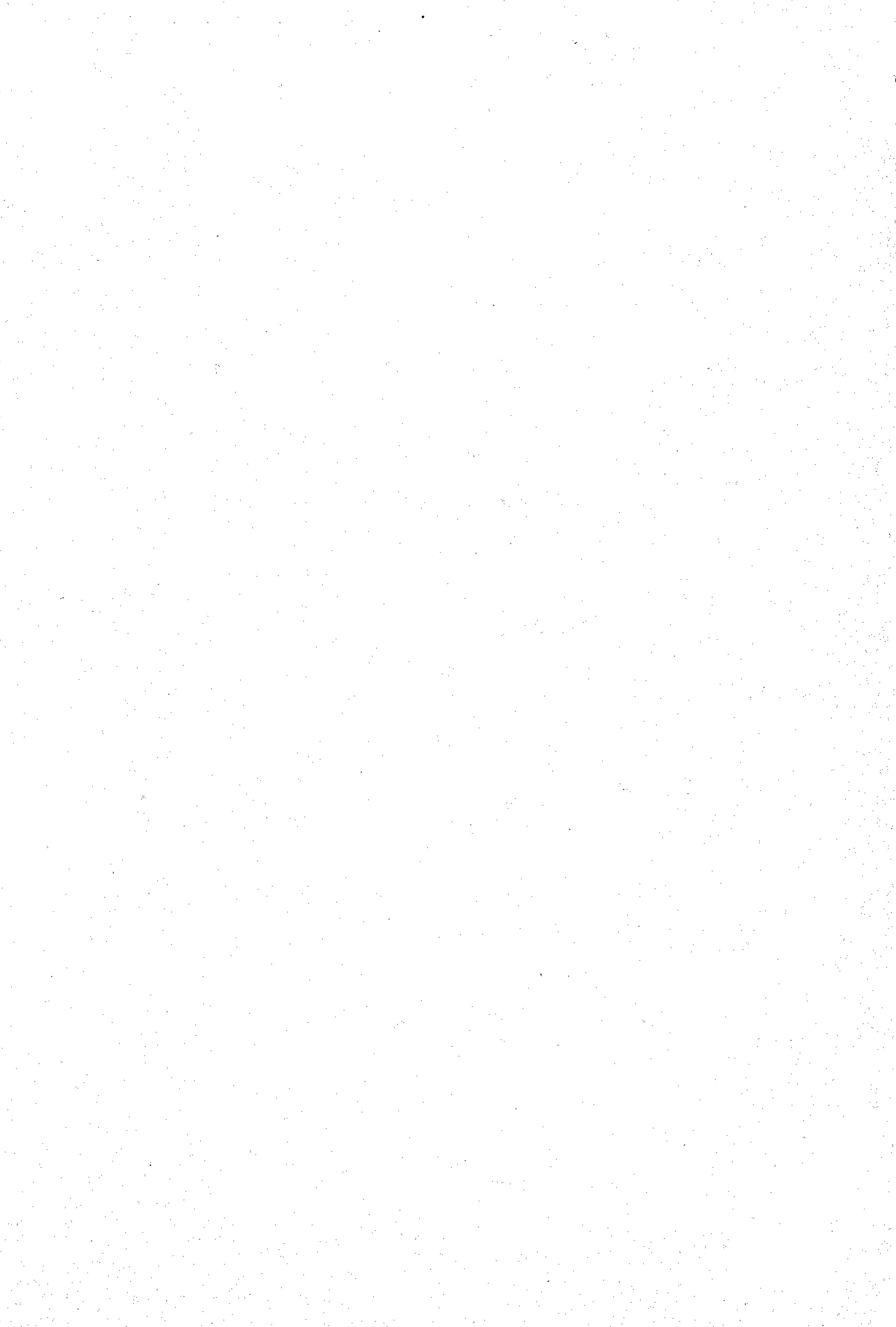
وفي شهر رجب سنة ١٣٨٦ صدر العدد الأول من مجلة (العرب) وهي مجلة شهرية تعنى بتاريخ العرب ، وجغرافية بلادهم ، وبتراثهم الفكري بصورة عامة .



نهاية البحث

تلك لمحات موجزة من تاريخ هـذه المدينة . لعلها خلاصة ما يستطيع الباحث في تاريخها الوصول اليه في المصادر التاريخية التي لم تعن العناية الكافية بتاريخ هذه الجزيرة كلها ، منذ ان غربت شمسها بانتقال الخلافة منها حتى اذن الله لها ان ترى النور بقيـام الدولة السعودية الكريمة ، في هذه البلاد ، واتخـاذ هذه المدينة قاعدة للحكم ، فعاد اليها الخير واليمن .



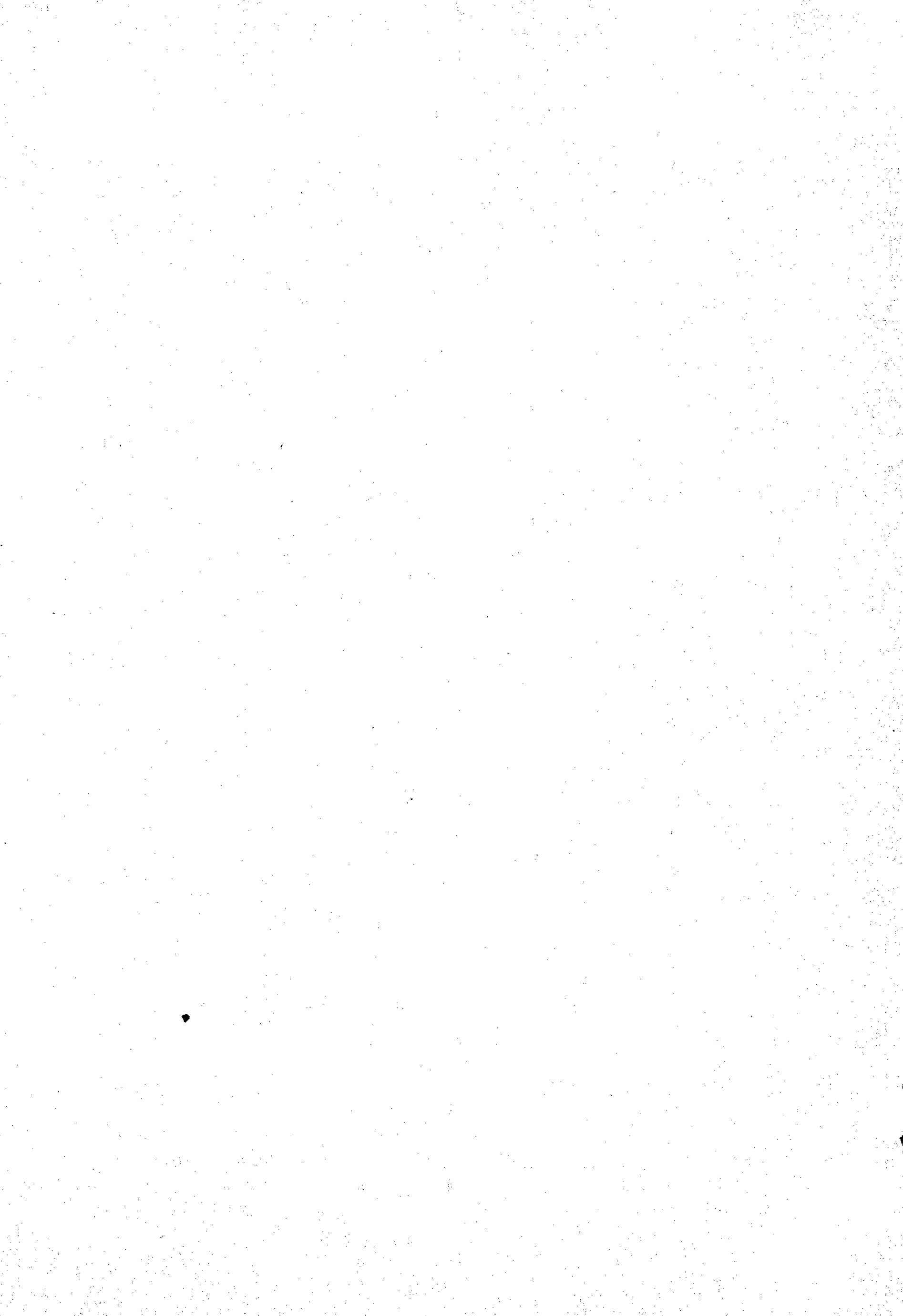


ملحق للكتاب عن :

الآثار الحِمْيرية في بلاد نجد

تقدمت الاشارة الى ان الملك الحِمْيريّ حسان ابي كَرب ، غزا اليمامة ، وأخضع قبيلة جَدِيس ، على ما ذكره المؤرخون من العرب، وعلى ما جاء من الشعر العربي القديم .

ويحسن أن نورد هنا بحثاً عن العثور على كتابات حميرية في قلب نجد ، في وادي ماسل ، تؤيد ما ذكره المؤرخون المتقدمون من امتداد نفوذ ملوك حمير ، وخاصة ابي كرب الى نجد، وتشييد قلعة في تلك الجهة أثناء الحكم الحميري .



١ ـ في « مأسل الجِمْح » في عالية نجد [١]

ان لمحة نلقيهـــا على الخريطة ذات المقياس المليون (شمالي ٣٨ ج) ترينا فراغاً طوبوغرافياً تاماً في الفسحة المتكونة فيما بين سكة السيارات الحالية من مكة الى الرياض وخط اتجاه سيري في الرحلة التي قمت بها من الرياض الى الطائف ، وعلى وجه التخصيص داخل مساحة شبه معينة الشكل (متوازي الاضلاع) وضمن خط ممتد من (الدَّوَادِمِيّ) مَارًّا بـ (الخُفَيْفِيَّة) و (مَرَاة) على سكة السيارات ، ويتجه جنوباً عبر الريف من هذه الاخيرة الى (دَلقان) و (القُوَيْعِيَّة) ومنها لجهة الشمال الغربي رجوعاً الى (الدَّوَادِمي) .

لقد انتهزت الفرصة فسافرت ماراً بهذه المساحة من

---

(١) خلاصة ترجمة مقال للشيخ عبد الله فلبي ، نشره بعنوان :

« Motor Tracks and Sabaean inscriptions in Najd » The Geogràphical journal, Vol. CXVI, Nos 4-6 Dec. 1950 – PP. 211 – 215.

الأرض ، وتفحصت معالمها بدقة وتفصيل. وكنت أخبرت من قبل الأمير عبد الله بن عبد الرحمن عن وجود بعض النقوش السبئية على الصخور في موقع يدعى (وَادِي مَاسَل [1]) وهو على مسافة تتجاوز قليلاً الخمسين كيلاً (كـ م.) الى الجهة الجنوبية الشرقية من (الدوادمي) ، وبعد مضي وقت قليل أعطاني نماذج من كلمات استنسخت من هذه النقوش من قبـــل شخص عربي أرسله الأمير خصيصاً لهذا الغرض . ان الكلمات والأحرف القليلة التي استنسخها هذا العربي كانت غير كافية لاعطائي فكرة ما عن أهمية هذه الوثائق . وفي شهر يناير من عام ١٩٥٠ قام الشيخ فؤاد حمزة وهو وزير دولة في الحكومة العربية السعودية وكان يهتم ويعنى بالدراسات السبئية ، بزيارة

---

(١) ماسل ، ويهمز : مأسل، ويضاف الى الجِمْح ، فيقال : ماسل الجمح ، معروف قديماً ، ورد في شعر امرىء القيس ، في معلقته :

كَدَأبِكَ مِنْ « أمّ الحُوَيْرِث » قَبْلَها
وجارَتِهـــا « أمّ الرَّبابِ » بِـ « مَأسَلِ »

للموقع المذكور ، وتمكن من فحص تلك النقوش عن كثب ، في محلها ، كما أخذ نسخاً ، ولو انها غير مضبوطة تماماً ، من اجزاء لتلك النقوش ، ولكنها كافية للدلالة على عظم اهميتها سواء من الوجهة التاريخية أو من جهة المخطوطات والنقوش الأثرية . وحتى ذلك الوقت لم توجد أية نقوش ومخطوطات سبئية في محيط نجد ، بينما المجموعة الوحيدة الاخرى من تلك المستندات المعروفة لدينا المتعلقة بداخل البلاد العرب أتت من (قرية الفاو [١]) جنوبي (وادي الدّواسر) حيث اكتشفت من قبل بعض علمــــاء طبقات الأرض الذين يعملون في شركة الزيت العربية الاميركية بالاشتراك معي أنا في عام ١٩٤٨ ان (قرية الفاو) كانت على ما يظهر مركزاً أمامياً منعزلاً للمدينة السبئية الى شاطىء الخليج الشرقي حيث وجد أيضاً عدد كثير من النقوش والمخطوطات السبئية .

---

(١) انظر وصفها في آخر هذا المقال .

ولكن لم يكن هنالك بين النقوش والمخطوطات واحدة ساعدت على كشف مادة تاريخية ذات مغزى ، ولكنه كان واضحاً من النسخ الجزئية الجانبية التي أرسلها لي الشيخ فؤاد حمزة أن بعض ملوك سبأ الذين وجدوا في مستهل القرن الخامس (ب. م) والذين كانوا معروفين لدينا من النقوش التي وجدت في اليمن ، تغلغلوا في وسط بلاد العرب حتى اقليم (الدَّوَادِمي) . واصبح من الضروري الحصول على نسخ تامة ومضبوطة حقيقية من تلك المستندات الهامَّة .

وفي شهر أيار من هذه السنة قطعت رحلتي بالسيارة إلى الرياض وتوقفت في (الدوادمي) لازور (وادي ماسل) . لقد كان عبور الريف بين هاتين النقطتين صعباً جداً ، لأن عدة وديان كانت تعترض السهل ، منحدرة من الريف الاكمي الكثير التلال الى غربي (الدوادمي) التي تمتد وتنساب جنوباً الى وراء (القويعية) في مرتفعات

(العِرْض [١]) . والبئر الوحيدة التي عثرنا عليهـــا في الطريق كانت بئر (رغوة) على بعـد ١٢ كيلاً من (الدوادمي) بينما كانت وجهتنا العامة إلى الجنوب الشرقي عبر بقعة من المراعي الخصبة الجيدة ، التي كانت أحيتها وانضرتها أمطار الشتاء الماضي السخية ، وكانت آنئذ مليئة بالإبل التي كانت ترعى فيها . واذا أخرجنـــا من حسابنا المدة التي قضيناهـــا في التأمـلات الجغرافية (كاستعمال البوصلة وغيرها من الآلات) نكون قد أمضينا ثلاث ساعات جدية متواصلة في السيارة ، لنصل الى وادي (ماسل) والى الكهف الكائن بجانبه .

أما النقوش فكانت على حرف صخرة من الحجر الناري الأسود ، وعلى الضفَّة اليمنى من الكهف ، بينما يقع مسقى ، أو غيل المسيل الدائم على نحو كيل (ك. م) من

---

(١) يعرف قديماً باسم (عرض شمام) نسبة لجبل يعرف الآن باسم (أذني شمال) وقديماً يعرف بـ (ابني شمام) لأن له رأسين .

الوادي الضيق ، المحاط بالحجارة والصخور ، بينما هناك قرية على مسافة جزئية منه ، لم اتمكن من زيارتها لضيق الوقت تدعى (عَرْوَىٰ ابن حُميد[1]) جنوبي مدخل وفم الوادي تقريباً . يقع وادي ماسل في منطقة عشائر (عُتيْبَة) .

والكهف مستقر على صورة ووضع يسمحان للشمس خلال فصل الصيف ان تتخلله ، وتشع فيه بعد الظهيرة ، ولذلك فانه ليس بالإمكان أن يدخله أحد ، أو أن يستريح فيه ، الا خلال ساعات الصباح ، مع انه يبقى في الظل كل النهار تقريباً اثناء فصل الشتاء .

ان النقشين أي المخطوطين الرئيسين (الأول مؤلف من عشرة أسطر والثاني من تسعة أسطر) منقوشان على

---

(١) عَرْوَى : هو اسمها القديم ، ومنذ نصف قرن تقريباً ، اتخذها جهجاه بن حميد من شيوخ قبيلة (عتيبة) هجرة له . فنسبت اليه ، وهي لا تعرف الآن الا باسم (عروى) غير مضافة .

وجه الحجر الناري الخشن ، المواجه تماماً للجهة الشمالية من الكهف ، ومن الواضح أن تساقط المياه وتقلبات الطقس التي أوجبت تشقق وتشظي الصخرة قد أحدث عطلاً واذى في المخطوطات المسجلة ، ولكن بقي مع ذلك قسم منها كاف لاعطاء فكرة جيدة عن محتوياتها . وفي كلا المخطوطين كانت الكتابة متلاصقة مزدحمة ضمن الحيز والفسحات الموجودة . والكتابة الأكثر طولاً كانت على الطرف الشمالي من وجه الصخرة ، ويمكن الوصول اليها بسهولة ، بواسطة رَفٍّ أو إفريز مناسب ، موضوع على مسافة أقدام قليلة ، تحت الصخرة . أما الأخرى فإنها بالعكس كانت الى يمين وإلى أعلى الأولى تماماً ، وهي لذلك صعبة المنال ، لوقوعها على بطن الصخرة الجاحظ والبارز الناتىء ، ويظهر أن الذي خط هذه الأسطر استعمل سلماً من الاسفل ، أو دلَّى هو نفسه من الأعلى ، فيما يشبه مَهْداً أو (صقالة المعمار) . وبما انه لم يكن لدى

سُلّمٍ ، كان عليَّ ان أستعين بالمنظـــار لكي اقرأ وانسخ المخطوطة . وهو عمل شاق جداً ، يستوجب دراسة حرفين أو ثلاثة فقط ، في المرة الواحدة ، وتسجيلها بعدئذ على الورقة . وقد أمضيت ثلاث ساعات تقريباً لنقل هذه النقوش ، بينما كانت الأخرى سهلة الاستنساخ نسبياً .

وبالاضافة الى هذين المخطوطين الهامين هنالك عدة نقوش أقل أهمية ، بالقرب من أسفل وجه الصخرة ، وعلى كتل حجرية سائبة ومتدلية من الأعلى ، وعلى عدد من الحجارة المصفوفة عـــلى رف عريض في أعلى صخرة الكهف ، وفي قاعدة صخرة كبيرة ترتفع بضع مئات من الأقدام ، بحيث تقع في القمة التي ترتفع ثمـان مائة قدم تقريباً عن مستوى الوادي .

وقد أرسلت نسخاً عن هـــذه المخطوطات الى (البروفسور ج. ريكمانز أحد أساتذة جامعة لوغان) لدراسة دقيقة ولنشرها بعدئذ . على انه من الممكن أن

نقول بضع كلمات في الوقت ذاته ، واصفين محتويات تلك النقوش وصفتها العامة .

ففي المخطوطة الاولى (فيلبي ١٢٧) آب ــ « كرب اسعد » (اسعد الكامل من التبابعة الوارد ذكرهم عند مؤرخي العرب) وولده (حسين يوهامين) (حسن التبعي الذي ذكره المؤرخون العرب) كانا ممثلين وموصوفين بانهما شيدا قلعة (من أجل أو على شرف) أو لتمجيد والد الملك المذكور الاسم أو « مالك ــ كرب » الذي يحتمل أن يكون توفي في ذلك الوقت بعد حكم دام خلال الربع الأخير من القرن الرابع (ب. م) ولذلك فانه بالامكان أن نرجع بالتاريخ الى وقت ما بين ٤٠٠ (ب. م) و ٤١٥ (ب. م) يظهر (حسن يوهامين) هنا للمرة الأولى بما يتعلق بالمخطوطات السبئية كملك لـ (سبأ) يتمتع باللقب الكامل ، الذي تمتع به أبوه وجده من قبل ، وهو ملك سبأ ، وذوريدان ، وحضرموت ، ويمنات ،

وعربهم ، وطود ، وتهامة . وقد اختصر هـذا اللقب في هـــذه المخطوطة بمـــا يتعلق بـ « آب ــ كرب » وولده وذلك بحذف كلمة « هم » (الضمير المتصل) وأما بما يتعلق بـ « مالك ــ كرب » فقد حذفت كل الكلمات الاضافية بعد « يمنات » . وقد وصفت القلعة في السطر الخامس على انهـــا بنيت في (ماسل الجمح) وهو الاسم الكامل الذي لا يزال يطلق على الموقع اذ ان (الجمح) هو اسم سلسلة الجبال التي يجري الوادي خلالها ، بينما هناك اشارة في هذا السطر والذي يليه إلى « اقليم مودام » أو (مودام) . وهـذا يمكن أن يكون اسم الدوادمي الأصلي الذي ــ وفقاً لتقليد محلي ــ كان يدعى من حيث الأصل ويلفظ « دَاءْ ــ وِرْد » ، وذلـــك يعني « بئر المرض » ذلـك ان مستوطنيـه الأولين الذين احتلوا الوادي ماتوا على اثر حمى محلية اصابتهم ، ثم حور الاسم

الى دوا ــ آدمي اي رغبة انسان)[1] .

ان الأسطر الأخيرة القليلة من هذه المخطوطة هي من النوع العادي الشكل، ويشير الى بضع عشائر ورؤساء عشائر وموظفي وضباط بلاط ، والى عائلات ومقتنيات واملاك الملوك ، الخ ...

أمـا النقط ذات الأهميـــة في المخطوطة الثانية (فيلبي ٣٢٨) فهي انها مؤرخة بالضبط وترجع الى عام ٦٣١ من الحقبة السبئية (٥١٦ ب. م) وانها سجلت من قبيل ملك معروف حتى الآن (باللقب الملك الكامل كما هو مذكور فيما سبق) يدعى « معد يكرب ــ يعفر » ،

---

(١) تسميـــة الدوادمي باسم (دَاءْ وِرْد) مشهورة ، والظاهر انها ناشئة من خرافة ذكرها صاحب معجم البلدان (مادة : واسط) في واسط البلدة المعروفـة في العراق ، ونظراً لأن اسم (واسط) يطلق على قرية من قرى (الدوادمي) فقد نشأ خطأ الاعتقاد بأنها (واسط) الدوادمي ، وانه كان هو الذي يطاق عليه (داء ورد) أو (داء وردان) — وهذا من قبيل الوهم والخطأ . ويرى بعض الباحثين ان كلمة (دوادمي) عبرية ، نشأت عن كون أكثر من يشتغل في المعادن التي كانت حوله من العبرانيين .

الذي يجب أن يكون الخلف المباشر للملك المدعو « ذو نواس » من ملوك « نجران » الذين انتهى حكمهم سنة ٥٢٥ ب. م) حين تغلب الأحباش على سبأ . وهنالك شخص يحمل نفس الاسم منقوشاً على مخطوطة لنائب ملك الحبشة « ابرهة » ، في مأرب مؤرخة سنة ٥٤٣ (ب. م) ولكنه من غير المحتمل أن يشير الاسمان الى شخص واحد . ولكن من المحتمل أن يعرف الشخص الثاني حامل الاسم نفسه ، ويشخص بانه « معد يكرب بن سميع اشوا » الذي كان عين ملكاً من قبل الأحباش بعد هزيمة (ذى نواس) سنة ٥٣٥ (؟) ، بينما يحتمل أن يكون « معد يكرب — يعفر » الأول هو الشخص ذاته الذي يحمل اسم « معد يكرب — ينعم » الذي يظهر في قائمتي (نفس المرجع ص ١٤٣) والذي كان يحكم في فترة بين ٥١٠ — ٥٩٠ (ب. م) وفي هذه الحالة يجب أن يمتد ملكه الى سنة ٥١٦ على أقل تقدير . ان اللقبين

يتشابهان في المخطوطات السبئية وهذا يمكن أن يؤدي الى نتيجة هي أن « ينعم » قد يكون قرىء خطأ « يعفر » لا بالعكس لان القراءة والتسجيل في هذه المخطوطة مؤكدان . وان الاحتمال الوحيد يمكن أن يكون على افتراض ان « معد يكرب ـــ يعفر » كان اسم « ذي نواس » الحقيقي ، الذي يظهر بانه عرف باسماء مختلفة عديدة : مسروق ، زرعة ، ويوسف ، مثلاً .

ومهما يكن الأمر فإن القلعة أشير اليها « بقلعة تلماهي » (بتوليمي ؟) بينما لدينا في السطرين التاليين ذكر اسماء عشائر « اسد » و « سبأ » و «حمير» و«رحبان» (؟) بما يتعلق بحرب هي أيضاً ذات علاقة بكندة وثعلبات ، ومضر .

هذا ما يتعلق بالمخطوطين ، وبالاضافة إلى ذلك هنالك ستة عشر كلمة أو نقشاً أقل أهمية يمكن أن نذكر منها بصورة خاصة :

١ ـــ اسم اب كرب أسعد (فيلبي ٢٢٩) .

٢ ـــ نقش غير مقروء كلياً على سطرين أو ربما كان ثلاثة أسطر ليس فيها من الأحرف التي يمكن قراءتها سوى اسم « سام ــ يافع » المذكور آنفاً : (فيلبي ٢٣٠) .

٣ ــ اسماء « يا ريم وهو ـــ سخيم » و « يرحب وهو ـــ سو » (خيم) ؟ وهي التي تشكل فقرات في فيلبي ٢٣١ (ب) التي جاء بها أيضاً اسماء « خولي » و « سعد » .

٤ ـــ اسم « الثواب » .

لم اتمكن من العثور على أي أثر للقلعة المشار اليها في المخطوطة ولا التأكد عن طريق التحقيق والاستفسار ، من معلومات واضحة عن خرائبها واطلالها فيما لو كان هنالك بقايا منها حتى اليوم . على ان هنالك موقعاً غير بعيد في مرتفعات الـ « العِرْض » يدعى « دَاحِس »

مشهور في المصادر التاريخية[1] بأنه كان مرتعاً للحروب القبلية قبل الاسلام وقد تكون قلعة (وادي ماسل) شيدت من قبل السبئيين كمنطقة أمامية عسكرية لمراقبة النشاط القبلي العشائري وضبطه . و « وادي ماسل » كان على ما يظهر بمثابة النقطة أو المنفذ الرئيسي الى نجد من الجنوب ، لأنه كان مجهزاً بالماء الكافي للحامية ، ودوريات الحراسة ، أما القلعة فقد تكون شيدت في موقف أبعد من ذلك في « عَرْوى » .

والوادي ينفذ ويصب في شبكة من المجاري وهذه تمد العشائر بمراع غنية خصبة جداً لجمال البدو وماشيتهم ، التي يمكن أن تسقى من آبار عديدة ، واقعة على مسافة قريبة من السهل وهي آبار « الحشرج » و « العبيسة »

---

(١) داحس المذكور اسم حصان ، وليس اسم موقع . كما توهم فلبي — وخبر داحس والغبراء ، وما وقع بسبب سباقهما من الحرب بين قبيلتي « عَبْس » و « ذبيان » أشهر من أن يذكر .

و « المنجور» الكائنة في فسحة اقنية» وطاط النوم المختلفة»؟ و « الحُفَيِّرة » وهي قرية كبيرة للاخوان واقعة في أسفل وادي « جهام »؟ وفيها آبار كثيرة واراضٍ زراعية واسعة و « حُمَيَّـان » ذات الآبار في وادي « العفجة » والبقايا الكئيبة لموطن الأخوان ومقر شيد من أكواخ حقيرة من الطين لا يتعدى عددها الستة وهي خربة كأنها ولدت ميتة واخيراً بئر « بعج ؟ » في شعيب « واسط » وهو مجرى أو مصب قصير من روافد « رغوة » . وقد عدنا من الدوادمي سالكين هذا الطريق الأكثر سهولة والاطول قليلاً والذي يبلغ السبعين كيلاً وذلك بقصد رؤية وتسجيل مراكز وآبار المياه هذه المارة الذكر .

إلى الشرق من هذه الآبار وعلى بعد قليل في السهل توجد مناهل «مُكَيْنة» و « الشعيبة » و « فويليح »؟ وقد جاءت على هذا الترتيب من الشمال الى الجنوب وهي تجهز السيارات المـــارة من هذا الممر الجانبي والقادمة من

« الدوادمي » متجهة الى « دلقان » بالميـاه اذ أن هنالك مجموعة هامـة من الآبار الى الجـانب الشرقي من رمال « النفود » . وبين هذه وبين رمال « قنيفيذة » يمتد الطريق من « دلقان » الى نقطـــة الشروع في سلوك طريق « الدوادمي » و « مـراة » . والأولى أي « الدوادمي » تتصل بالماء في آبار « الخلائق » على نحو ٣٥ كيلاً الى الشمال الشرقي من « دلقان » .

وتقع بئر (الحويط) في اتجاه غربي طريق السيارات الكائن على مسافة ٢٥ كيلاً لجهة الشمال الغربي وبينما يقع منهل (سَامُودَة) الهام على بعد نفس المسافه المذكورة سابقاً . وفي الامام وفي نفس الاتجـاه ، وهذا الموقع يستعمل الآن كمركز للاسطبل الملكي . وبالقرب منه تقع بئر (بديعة) بينما البئر الأخيرة على الطريق هي بئر (غرغر) وتبعد نحو ١٥ كيلا عن الطرق الحالية . ويقال ان هنالك ممراً سهلا الى (النفود) على الخط أو المستوى

العام لمنطلق (سامودة) و (مكينة) بالاضافة الى بئر تتوسط الطريق ولكن لم يكن لدي فرصة تمكنني من الوصول اليها .

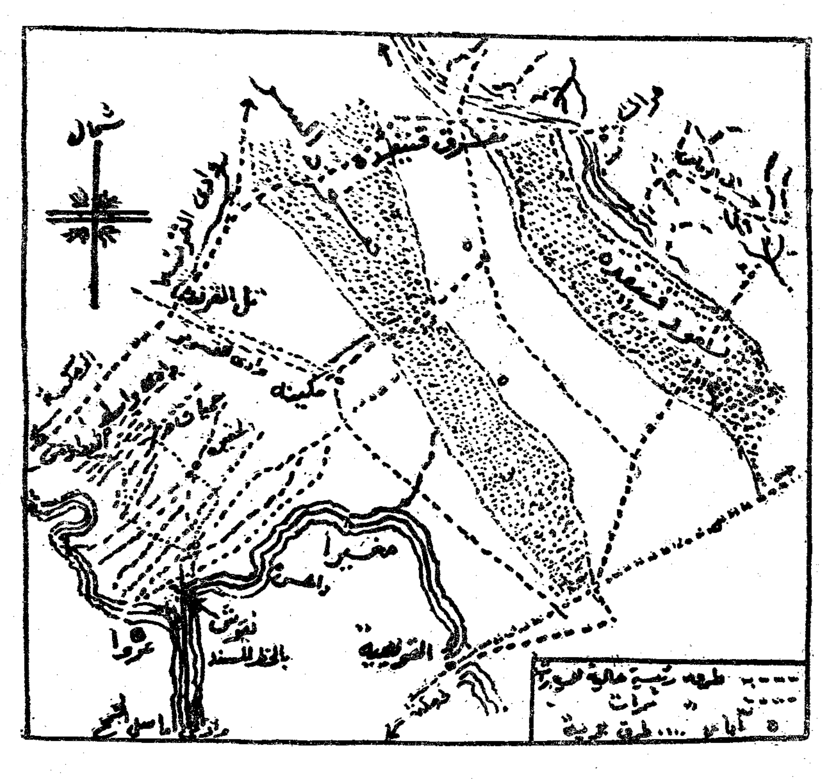
ان المصور المرفق الذي لا يمكن أن يعد مضبوطاً بالنظر لفقدان كافة آلات التخطيط والرسم ، باستثناء ابرة البوصلة وعداد سرعة السيارة ، سيرينا الوضع العام للمواقع المختلفة التي ورد ذكرها في هذا المقال . ان خط الرمال (نفود قنيفيذة) في الشرق يجري على العموم تقريباً الى حذاء السكة ، ولو انه ينحرف عنها بالتدريج الى الجنوب من (الخلايق) ، بينما تمتد الحاشية الشرقية من (نفود السر) الى مدى ١٥ كيلا غربي سكة السيارات في (غرغر) وتنحرف بالتدريج نحوها حتى التقاء الخطين في (دلقان) وبعد مسافة قصيرة يتحول النفود الى سهل رملي ثابت والى ساق الطريق الشمالية تنحرف الحافة الغربية من النفود تدريجياً عن السكة حتى تختفي تماماً

بالقرب من الشعبية فتغدو علـى بعد عشرين كيلا على الاقل . والى غربي هذا الساق وعلى مسافة قصيرة نسبياً يمتد حاجز صلب من الجبـال تسهل رؤيته على طول الطريق ، وتشتمل على سلسلة هضاب تتضمن (العرض) و (مُغُيْرَاء) وسلسلة الجمح وعدة قمم عالية ومشارف شاهقة . وهي بلاد كئيبة موحشة بكل تأكيد ، ولو انها قد تكون ملائمة لسكانها ولقطعانها وماشيتهم ، وخصوصاً في فصل كهذا غذته الأمطار الغزيرة ، بعد جفاف نسبي ، طال أمده مـــدة ست أو سبع سنوات . ويظهر انهم يعيشون على الطريقة القديمة التقليدية ، دون أن يزعجهم توغل السيارات الصاخبة أو أخبار التطورات العصرية الآخذة مجراها في بلدة كبيرة كالرياض . ولكن هنالك مظهر من الصحراء العربية المعروفة لدى البعض قديماً وعنصر محبب يفتقده المرء كثيراً أو الذي قد تكون معالمه زالت الى الأبد . وهو قطعـان الغزال الكثيرة

المتعددة التي اعتادت أن تتجول خلال هذه الهضاب أو الرمال غير هيابة ولا وجلة . هذه القطعان التي انقرضت خلال الربع القرن الأخير من جراء ملاحقتها من قبل الصيادين الذين يستعملون السيارات أو الذين يجبرونها أن ترتاد وان تدخل أماكن صعبة المنال . والغزال يعد نادر الوجود الآن على سكة السيارات في بلاد العرب . أما النعامة فقد انقرضت أيضاً في الشمال كما اختفت اكثر من جيلين في الجنوب ، والمهاة اختفت من الشمال مع انه قد يشاهد عدد قليل منها في الربع الخالي أو حوله .

لزيادة الايضاح عن ملوك سبأ يحسن الرجوع الى : « كتاب سناد الاسلام » تأليف فلبي واسمه بالانجليزية :

1 – H. St. J. B. Philby, ' Background of Islam ? Alexandria, 1947, p. 143.



رسم تقريبي يبين مكان الكتابة : (ماسل الجمح) وبعض المواضع المذكورة في المقال المتقدم ، ويلاحظ ان بعض المواضع لم يتمكن المترجم من معرفتها ، فوضعنا بجوارها علامة الاستفهام (؟) .

٢ ــ في (قَرْية الفاو) شمال الأفلاح

[يذكر الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب[١] أن في « قرية » كنيسة منحوتة في الصخر ، وان فيها آثاراً ..

وها هو الشيخ عبد الله فيلبي يتحدث عن آثار (قرية) في مقـال نشره في ــ المجلة الجغرافية ــ المجـلد ٦٣ تاريخ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٩ م نقدم الى القراء خلاصته مُعَرَّباً] : ــ

على بعد نحو خمسين كيلا الى جنوب النقطـة التي يتداخل ويتقاطع فيهـا (وادي الدواسر) بحاجز (طُوَيْق) قناة تُدْعى (الفَاوْ) تقسم الجزء الجنوبي على ذلك الحاجز نفسه في مكان هو في الواقـع القرية الزاوية الغربية الشمالية للربـع الخالي التي تختلط رمالهـا وتلتطم بالمنحدر الغربي لطويق جنوبي هذه النقطة وتشترك باقنية ومصارف (الفَاوْ) وتدعى بمسميات محلية مختلفة ، في

(١) : ١٥٢ .

الشمال الشرقي وتتوحد وتنصب في (وادي الدواسر) في منطقة مجاورة لرمال (الرماك ؟) . ونحو خمسين كيلا الى جنوب قناة (الفاو) وتبعاً للمعلومات المهيأة والمأخوذة من الفرقة الاستكشافية لشركة النفط العربية الاميركية التي تعمل في هذه المنطقة ، ينشق حاجز طويق مرة أخرى بفجوة عريضة مكسوة بالرمال ، أربعين كيلا تقريباً لا تتمكن السيارات من اجتيازها وهي على ما يفترض ، تمثل الأقنية المشتركة المختلطة في وادي (نجران) ووادي (حبونا) وبعد مسافة خمسة وسبعين كيلا ، وحسبما عُرِف جَوًّا من فرقة الاستكشاف نفسها يصل الانسان الى الطرف الجنوبي من منحدر (طُويق) وهنالك أي حول هذه النقطة ووراءها تستأثر الرمال بنفود وتغلب شامل حتى حافتها الجنوبية كما هو ظاهر في الخريطة الدولية .

وفي هذا الرأس الجنوبي من (طويق) اي نحو مائة

وعشرين كيلا شرقي (نجران) يقال ان هناك خرائب واسعة دالة على وجود موطن او مستقر او مدينة قديمة تشتمل على آبار ونقوش اعلمت بها لما كنت في (نجران) عام ١٩٢٦ والتي اكدت وجودها بكتاب الى (ولفرد تسيجر) تحت اسم (مانخالي ؟) اثناء عبوره واستكشافه العظيم للجزء الغربي من الربع الخالي في اوائل عام ١٩٤٨ . فاذا دلت هذه الخرائب كما يرجح على انها عبارة عن مدينة سبئية ، فهي تنبئنا بوضوح عن تغلغل سبئي داخل بلاد العرب ، ويحتمل ان يكون ذلك بقصد حماية طرق الموصلات مع المواطن الشرقية (البحرين وحضرموت) وآبار (مانخالي ؟) كانت على ما يظهر ، تحدد مرحلة من الطريق بين نجران وحضرموت ، والمدينة المؤسسة هناك كانت بلا شك من اجل حمايتها .

وليس لدينا من دليل أو معلومات عن وجود مدينة

كهذه فجوة الاربعين كيلا من منطقة (المُنْدَفِن[1])
ولـكن ابعد عن ذلك شمالا في (قرية) او (قرية الفاو)
كما تدعى على وجه العموم ، وعلى بعد ميل أو اثنين من
منحدر (طويق) وفي فوهة قناة (الفاو) دليل واضح لا
يمكن الشك بصحته على وجود مستقر او مدينة واسعة
عظيمة في الماضي ليس لها سوى بئر واحدة تحوي ماء
غزيرا تشوبه ملوحة طفيفة على عمق ١٥ او ١٦ باعا .

وكنت سمعت كثيرا عن هذه الخرائب ، ولـكني لم
اتمكن من انفاذ تصميمي بزيارتها الا في شهر شباط من
هذه السنة . والمفاجأة والشعور الذي انتشر في الرياض اثر
وصول السيد (تسيجر) غير المتنظر الى (السُّلَيِّل) من
الجانب الاخر من الربع الخالي ، هو الذي وفر لي هذه
الفرصة . فقد حصلت على اذن من الملك لأن اذهب من

---

(١) المندفن : هو طرف جبـل طويق الجنوبي ، الذي دفنته رمال الربع الخالي .

الرباض لملاقاته ، وبعد ان قمت بذلك بموقع (لَيْلي) في (الأَفْلاج) تابعت رحلتي جنوبا بالسيارة ، وعلى نفس الطريق التي سلكتها عام ١٩١٨ الى (السُّلَيِّل) ومنها الى (الحِسْي) ومن ثم متبعا قناة (الفَاوْ) حتى وصلت الى (قَرْيَة) .. وكان (تسيجر) قريبا من هذه الاخيرة حين خرج من الربع الخالي ولكنه لم يزرها . ولكن الفرقة الاستكشافية الاميركية المار ذكرها دخلتها مرارا ، ولم يدع لي افرادها من امر دراستها الخاصة لهذا الموقع ما يكون ذا نتائج محسوسة بالنظر لعدم وجود منشورات اخرى عن هذا الموضوع . ولسوء الحظ وبناء على عجز أَدِلَّائِي فقد فاتني ان ازور تلال (عبيد) المشهورة رغم ضآلة حجمها والواقعة وسط قناة (الفاو) حيث وجد الاميركيون بعض النقوش ودلائل اخرى هامة من نوع طقسي احتفالي. كما وجدوا على البئر نقشاً نفيساسبئيامحفورا، على الصخرة الرأسية لاحد القبور ، بارزة من الرمال المحيطة

بها ومخرجة من مخبئها من قبل بعض العربان الذين يفتشون على كنوز هذه الكتابات والنقوش [ستنشر من قبل الدكتور (ريكمانز)[1] من جامعة (لوفان) في عدد قادم من مجلة له موزيون] وترمز غالبا الى آثار رفيعة (لحْيانية) اكثر من دلالتها على آثار سبئية حقيقية ومن المحتمل ان يكون من قبيل التصادف ان كان اسم احد المواقع والاراضي الرئيسية المشهورة الكائنة في القطاع الشمالي من (طويق) في هذا الجوار وهذه البقعة (لحياني) .

وعلى كل فان هذه الكتابات والنقوش هي على وجه العموم ذات صفة عادية تافهة ، بينما خرائب المدينة التي هي جزء منها ذات أهمية بارزة ، كدلائل أولى وجدت حتى الآن مشيرة الى وجود طائفة سبئية داخل بلاد العرب ان قسماً من القطع الخزفية الفخارية التي وجدتها على سطح

---

(1) [Dr. Ryckmans – of Louvain university in Forthcoming issue of Lemuséon].

الخرائب (الموجودة الآن في المتحف البريطاني) قد تكون دالة (الا اذا ثبت خلاف ذلك) على تاريخ يشير الى القرن الثاني ق. م. . بينما واحدة منها هي قطعة من كأس من نوع الكؤوس الفينيقية المعروفة جيداً والتي لا يجب أن نعلق عليها اهمية أو معنى لا تستحقه . ويحتمل أن تكون المستعمرة قد هجرت حين سقوط العهد السبئي ، ولكن يقايا قلعة مبنية من الطين وابراج عديدة على الحافة الشرقية للخرائب الأقدم منها قد تكون دالة على العودة للاستيطان في جزء من هذه المدينة (المستعمرة) في العصور الوسطى ويحتمل أن يكون خلال العهد القرمطي ، وان تكون جعلت كمراكز لحراسة البئر .

وهذه الاخيرة واقعة قرب الحافة الغربية لقطعة هائلة من صخرة من الجِصّ الابيض ترتفع تدريجياً الى الجهتين الشرقية والشمالية نحو منحدر الطريق ، وهي محدودة غربا بحاجز شبه مستدير من الرمل ، ويمتد عبر فوهة قناة

(الفاو) العريضة من الناحية الجنوبية الى الناحية الشمالية من المنحدر . والجص الوافر الموجود زود المدينة باساس ثابت متين وبمادة انشائية بنيت منها القبور ، بينما المحور المستدير من البناء كان غائصا في صخرة كلسية لونها مائل الى الزرقة ، الى العمق الذي اشير اليه انفا . وقد اشتركت الرمال وروث (بعر) الحيوانات على مر الزمن وتراكمت فارتفعت فوهة البئر ذات الشكل الخماسي الزوايا حاليا ، بمقدار قامة ،بحيث اصبحت اعلى من مستوى حجر القاعدة الاساسي ، وذلك على ركام بيضاوي الشكل عظيم الجوانب . ان طريق السيارات من (الرياض) الى (نجران) تمر داخل (قرية) ومنها عبر حاجز الرمال الوارد ذكره باعلاه (عرق ابو رمح) صوب الجنوب والجنوب الغربي باتجاه آبار (حِمَىْ) .

وتحتل الخرائب مساحة كبيرة مع مدار ومحيط غير منتظم ، وليس من السهل ان يقرر أو يحكم الانسان ما اذا

كانت المدينة مسورة قديما ام لا ، ومع انه من الواضح جدا ان البئر كان يجب ان تكون خارج السور لو كان موجودا .

ومن جهة اخرى توحي بعض الخرائب ، ولو في شيء من الايهام ، بوجود مجموعة من المساكن الحصينة . مع ان الكثير منها هي بلا ريب عبارة عن قبور من نوع ما . ولا يتيسر الا لمعول عالم بطبقات الارض ان يكشف عن حقيقة ومغزى هذه المجموعة هذه المجموعة من الخرائب وفي الوقت ذاته فان زيارات العربان العفوية لهذه البئر ستعطى الطامعين منهم فرصة لمتجول في الخرائب للتفتيش على الكنوز . وقد ساعد هذا التفتيش عن الكنوز على رفع وابعاد كميات كبيرة من الرمل من واجهة احدى جوانب بناء صغير يظهر انه قبر مدخله المقوس قد قطع في واجهته الشمالية الغربية وعزل عن حفرة قائمة الزوايا ، بينما يوجد فوقه مخدع عميق التجويف. اما واجهة

ا بالنقوش ، والكتابات محفورة على صورة
رقيقةمن الجبس الذي يظهر انه كان يغطى
بعة . ان وجود كتابات واسماء عديدة
ظاهر ربطها ببعضها على صورة توحي بقرابة اكيدة .
يدل على ان هذا المحل كان مقبرة لعائلة معروفة . ويطلق
عليها العرب المحليون اسم سرداب او حجرة صيفية تحت
الارض . فاذا نظفت من الانقاض التي تحيط بها يصبح
القبر يعلو ثمانية اقدام وعرضه بمساحة اثني عشر قدما
مربعا . ومن الواضح ان محتوياته لم تمس منذ ان دفن به
المتوفى الاخير .

ولكن هناك قبر آخر فحصته فتبين ان محتوياته قد نهبت
بدليل ان احد الواح الحجرة الكلسية الذي كان يغطي
فوهته قد ازيل من محله ، وحلت محله كومة من الرمال
اذرتها الرياح فامتلأ بها قسم من التجويف الذي كان عمقه
الاساسي بين ثمانية وتسعة اقدام (فهو بطول ثمانية اقدام

وعرض ثلاثة اقدام) قياساً من الداخل .

وبعض الركام الكثير الموجود قرب حافة هذا المكان الغربية يدل على انه كان اساس بناء المدينة وقد تكون قلعة او قصر الرئيس . والحجارة المنحوتة المبعثرة امام هذا الركام تدل على انها كانت مطلع مدرج اوراقا يؤدي الى هذا القصر العظيم من القسم السفلى الغربي للمدينة .

وهنالك اثنتان من الخرائب القائمة الزوايا يحتمل ان تكون اما سقوفا للقبور او اساسا لبيوت السكن والارجح انها سقوف . وقد شوهد خط طويل من هذه البقايا ممتد الى الشرق والغرب يحتوي على خمس وحدات مستقلة متميزة ، ثلاث منها واقعة في الطرف الشرقي وقياس كل منها ١٠ × ٧ ١/٢ اقدام ، اما البناية الاخيرة المتممة فهي بطول ١٧ ١/٢ × ١٠ اقدام . وهذه بلا شك مجموعة من القبور تخص عائلة واحدة .

الامل ان تكون هذه المذكرات والملاحظات

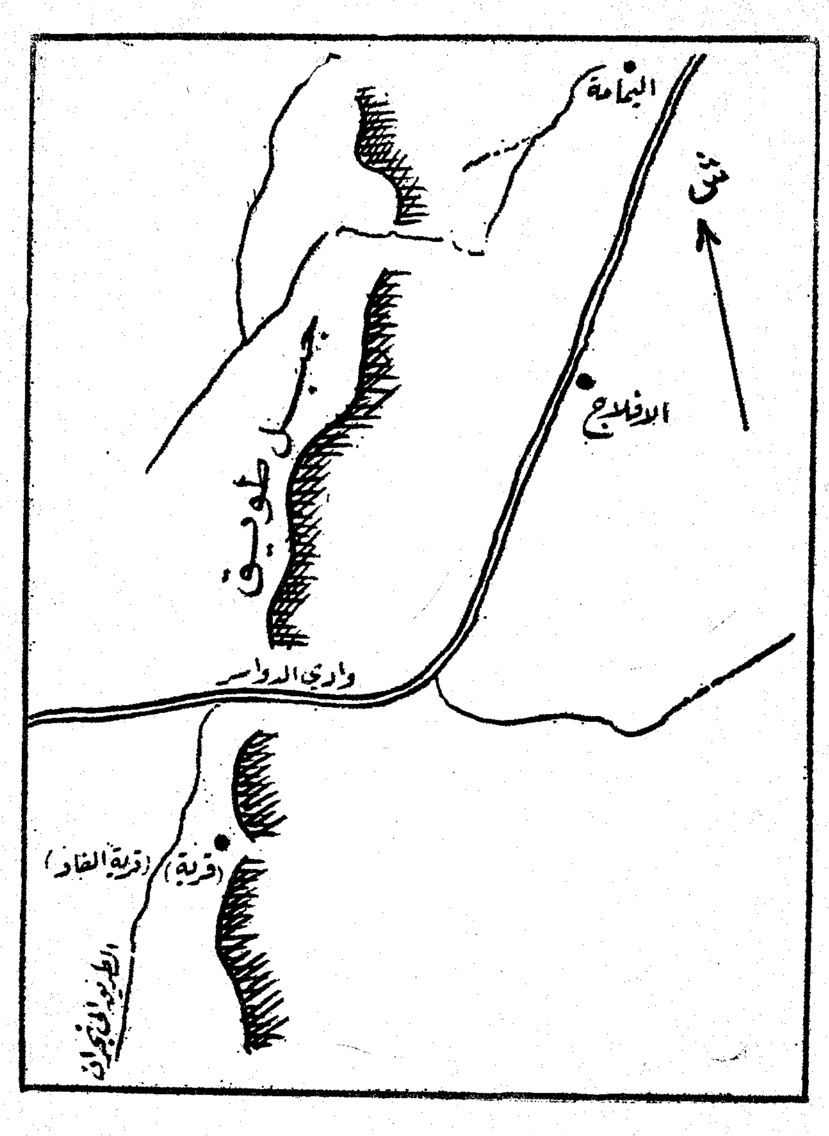
كافية لان تجعل الخبراء قادرين على ان يكونوا فكرة عن احتمالات وامكان القيام بحفريات في هذه المنطقة الواسعة التي تشتمل على مساحة كبيرة عظيمة ، وبشكل غير منتظم ، متجهة تقريبا نحو الشمال والشمال الشرقي،والى الجنوب والجنوب الغربي ، كما يظهر من المخطط التقريبي . ويظهر ان العربان الذين يفتشون عن الكنوز لم يزعجوا هذه المحلات كثيرا في الازمنة الحديثة .وقد تكون محتوية علي معلومات ذات اهمية بالنسبة لمؤرخي بلاد العرب .

ان اهتمام البلاد العربية المتزايد في البحث والتنقيب عن آثار ومخلفات مدنيتهم القديمة ، واللجنة الثقافية التي شكلت حديثاً من قبل الجامعة العربية يوحيان بأنه سيجري الكشف على هذه المحال ، ودراستها وفحص ما تحتويه من آثار وبقايا قديمـــة من قبل الخبراء وعلماء الآثار وطبقات الأرض العرب ، وذلك في زمن ليس بالبعيد .

قرية الفاو

عن دائرة المعارف الاسلامية
المطبوعة حديثاً باللغة الانجليزية

فاو (القرية ، الوادي) . تقع تقريبـاً عند الدرجة ١٠ / ٤٥ شرقاً و ١٥ / ١٩ شمالاً ، وجنوب فرجة وادي الدواسر بـ ٧٠ كيلا . وحوض وادي الفاو يقطع منحدر (جبل طويق) من جـانب لآخر في الجزء الأوسط المرتفع من الجزيرة العربية . وفي أعرض نقطها : فان جانبي الفرجة تبلغ حوالي ١٨ كيلا وحدها . والوادي جاف بوجه عام ، وفي النادر تسيل الفيضانات في اتجاه الشمال الشرقي لتتصل الى وادي الدواسر وقرب الحافة الجنوبية لفرجة وادي الفاو على بعد كيلين تقريباً من نفس المنحدر توجد ثلاث آبار ، وآثـار الاستيطان القديم المترامية بقرية الفاو . ولا تزال الآبار تستعمل أما



موقع « قَرْية » وتسمى « قرية الفاو » لوقوعها في « فاو » أي فم ، أو ريع يشق الجبل .

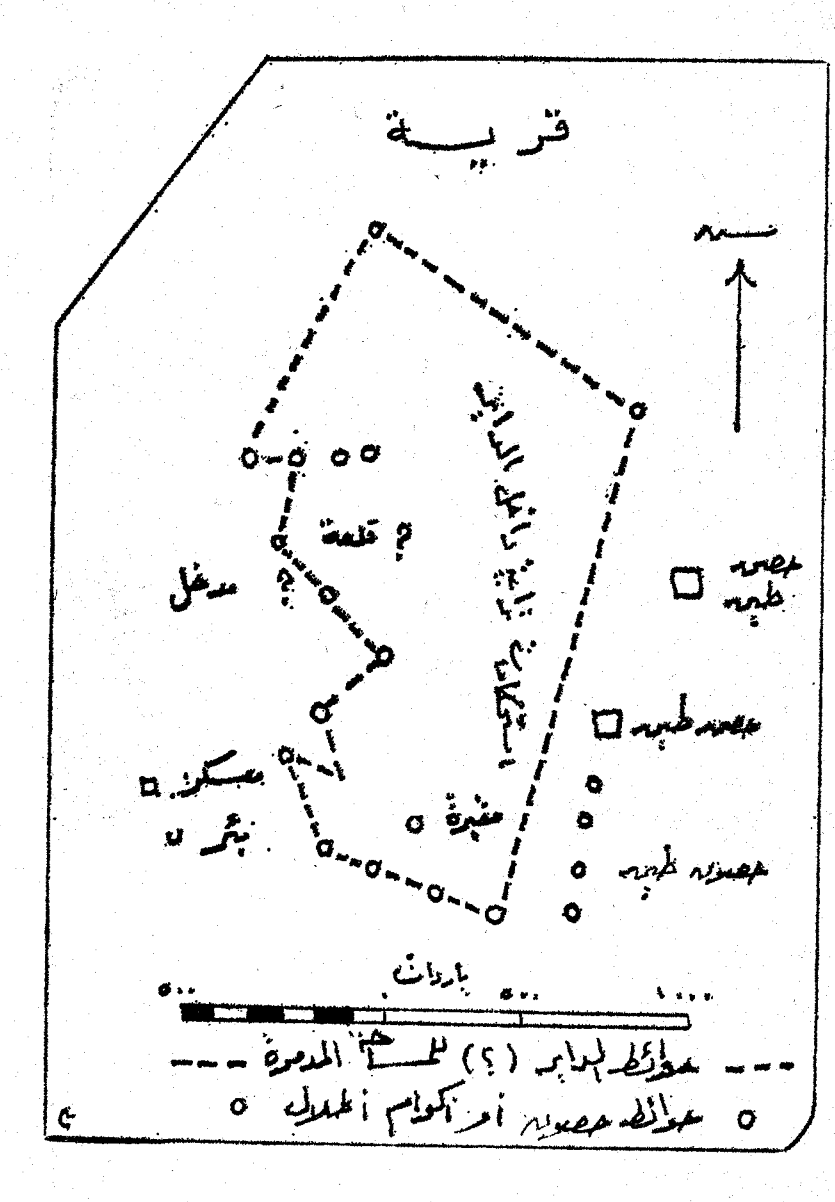
الاستيطان الدائم فقد توقف من عدة قرون مضت . وان أطلال الاستيطان الطويل تتضمن بقايا عدد من المنازل والمقابر وقليل من الروابي ذات الطبيعة غير المتماسكة (الهشة) وتشييد المباني يتم باالطوب وأحجار البناء مع سخاء في استعمال الجبس الموجود محلياً . وان القطع الخزفية الموجودة حالياً تدل على ان هذا الاستيطان كان قائماً في أثناء القرن الثاني قبل الميلاد ، كما يستدل من بقايا اخرى سطحيـــة ومن تلك النقوش الموجودة في جوارها يبدو انها كانت ذات مرة نقطة على الحدود السبئية . ويدل ما عثر عليه بسطح المنطقة على ان الاقامة كانت على الاقل أثناء فترة من وجودها معاصرة لذات الاخدود في وادي نجران .

المصادر :

هـ. ست ج. ب. فيلبي ، العربية في المجلة الجغرافية الأمريكية : مذكرتان عن أواسط المملكة يناير – يونيو ١٩٤٩ .

خريطة : ب. لبينز رحلةفي أواسط المملكة العربية ، باريس ١٩٥٦) .

(ف. س. فيدال)



مواضع الآثار في « قَرْية »

مجموعة من الصور تمثـــل
تطور العمران في مدينة
الرياض من القرن
الثاني عشر
الهجري
الى عهدنا
الحاضر

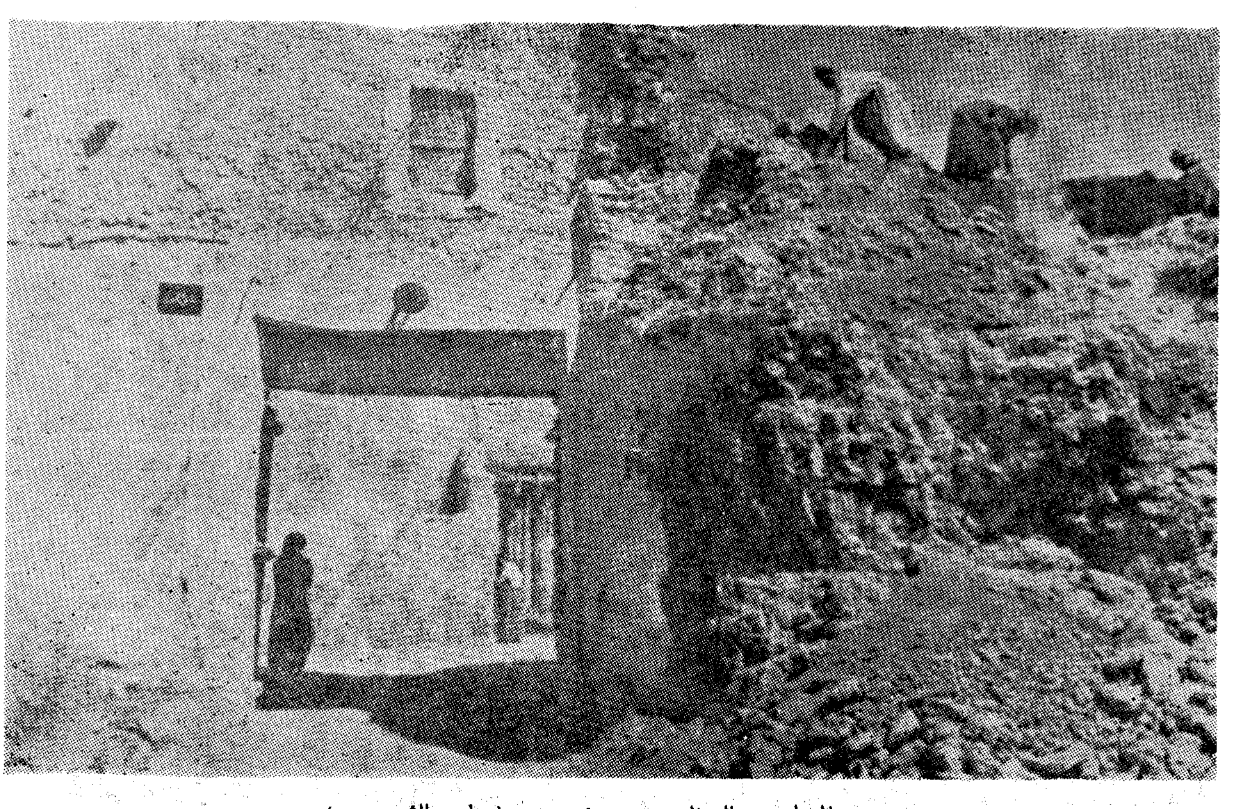
صورتان (١ و ٢) من اطلال مدينة الدرعية (بعد
أن هدمها ابراهيم باشا سنة ١٢٣٣ هـ) ومنهما
يتضح طراز البناء في القرن الثاني عشر الهجري
وقد كان البناء في مدينة الرياض في ذلك
العهد، مماثلا لما في الصورتين كما شاهدناه
في ١٣٤٦ في قصر (ناصر بن حمد بن
ناصر العائذى) أمير الرياض
في سنة ١٢٣٦ هـ وكان
موقعه غرب قصر
الحكم الحالي في
جانب (المقيبرة)
الشرقي ، وقد
زال ذلك القصر
وبني مكانه







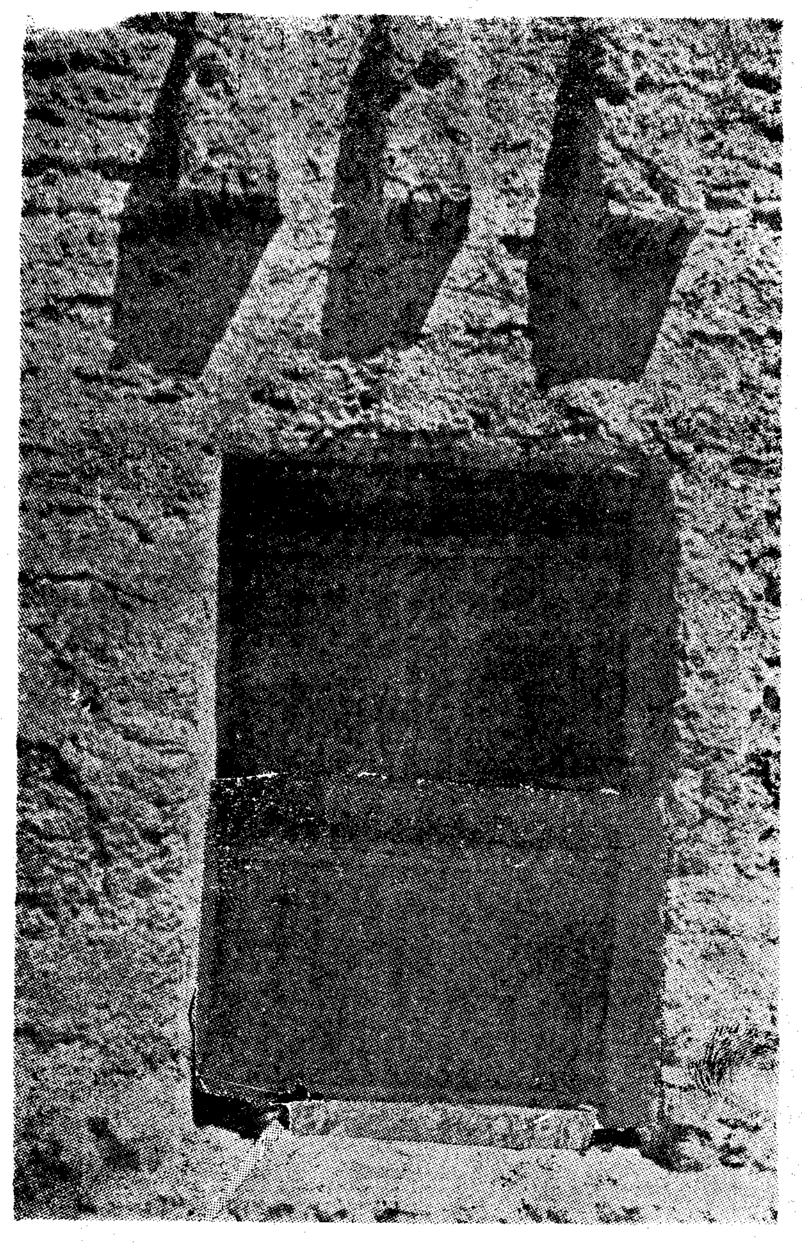
سور مدينة الرياض ويلاحظ احاطة النخيل بالمدينة قديماً



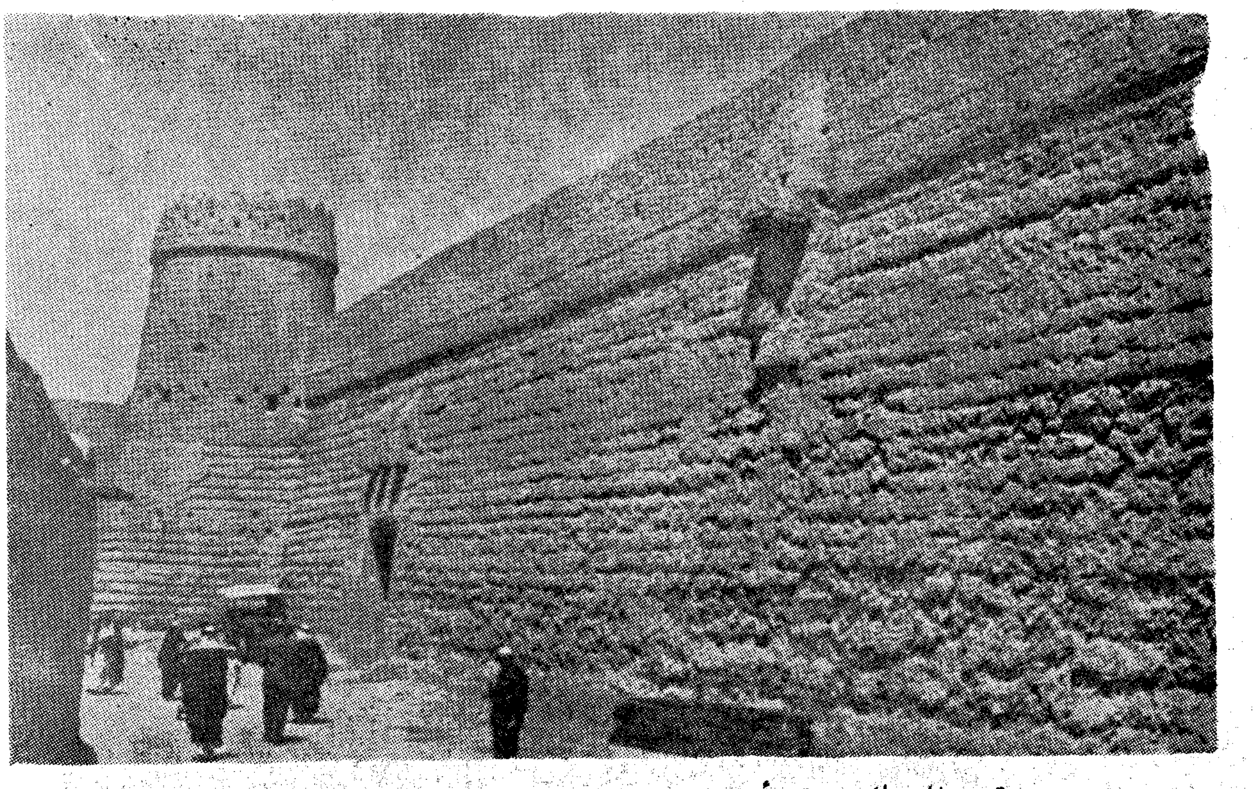
سور الرياض والعمال يهدمونه عند (باب الثميري)



باب قصر المصمك

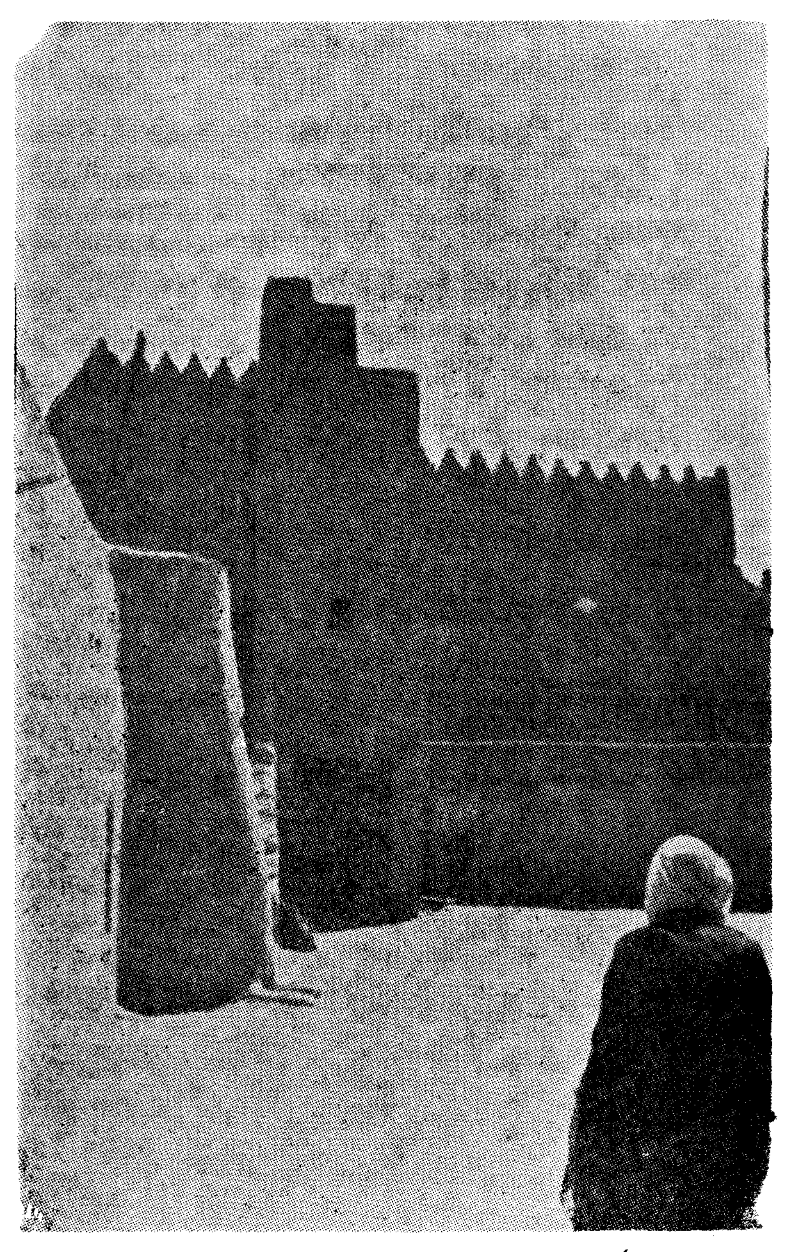


مدخل قصر المصمك

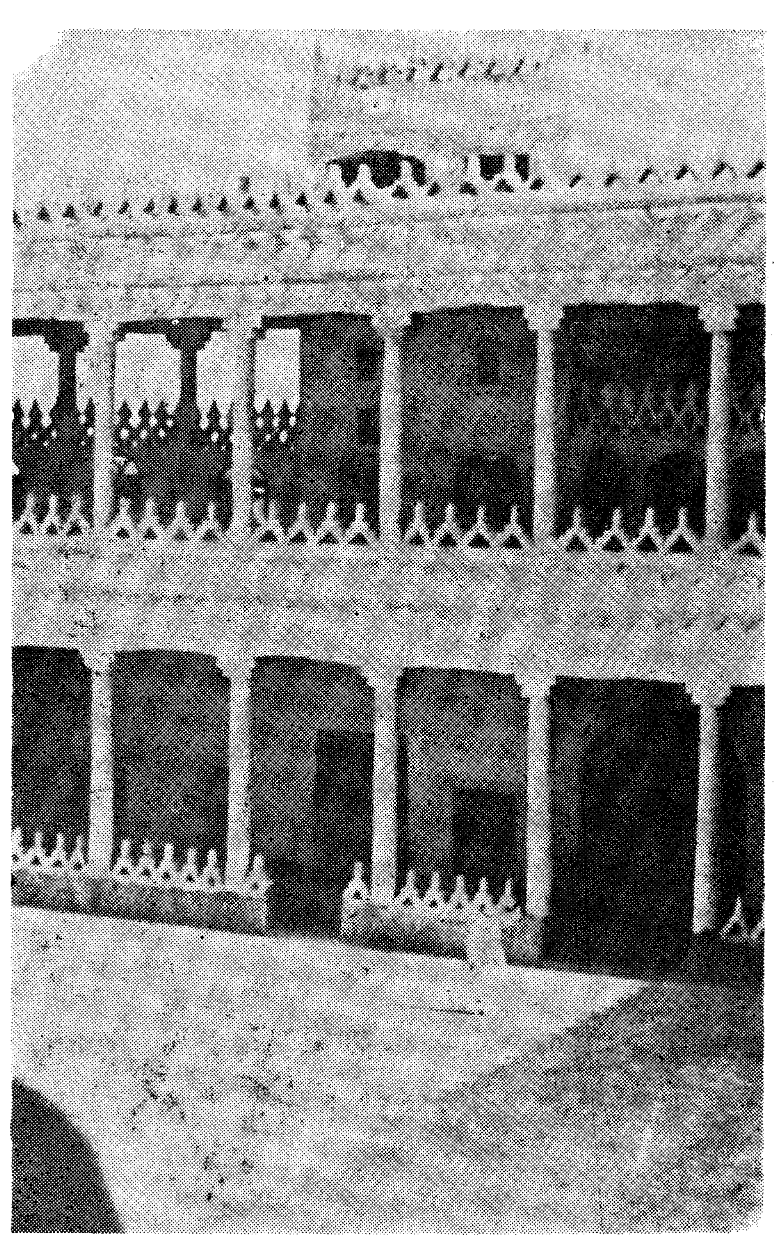


قصر المصمك (وقد أنشىء سنة ١٢٨٢ هـ) وهو مبني من اللبن والطين

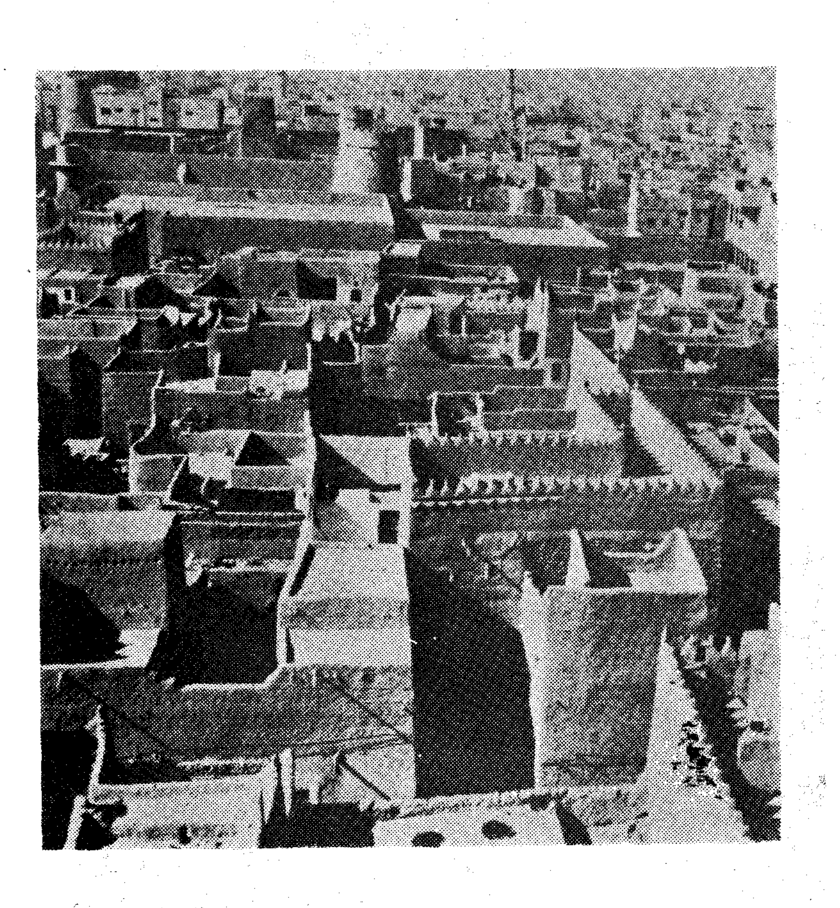
والصور التالية تصور مرحلة ثانية من تطور
البناء في مدينة الرياض ، حيث
تصبح القصور ذات
أبهاء واسعة، ونوافذ
مستطيلة واسعة
أيضاً ، وشرفات
تقوم على مربعات
صغيرة .



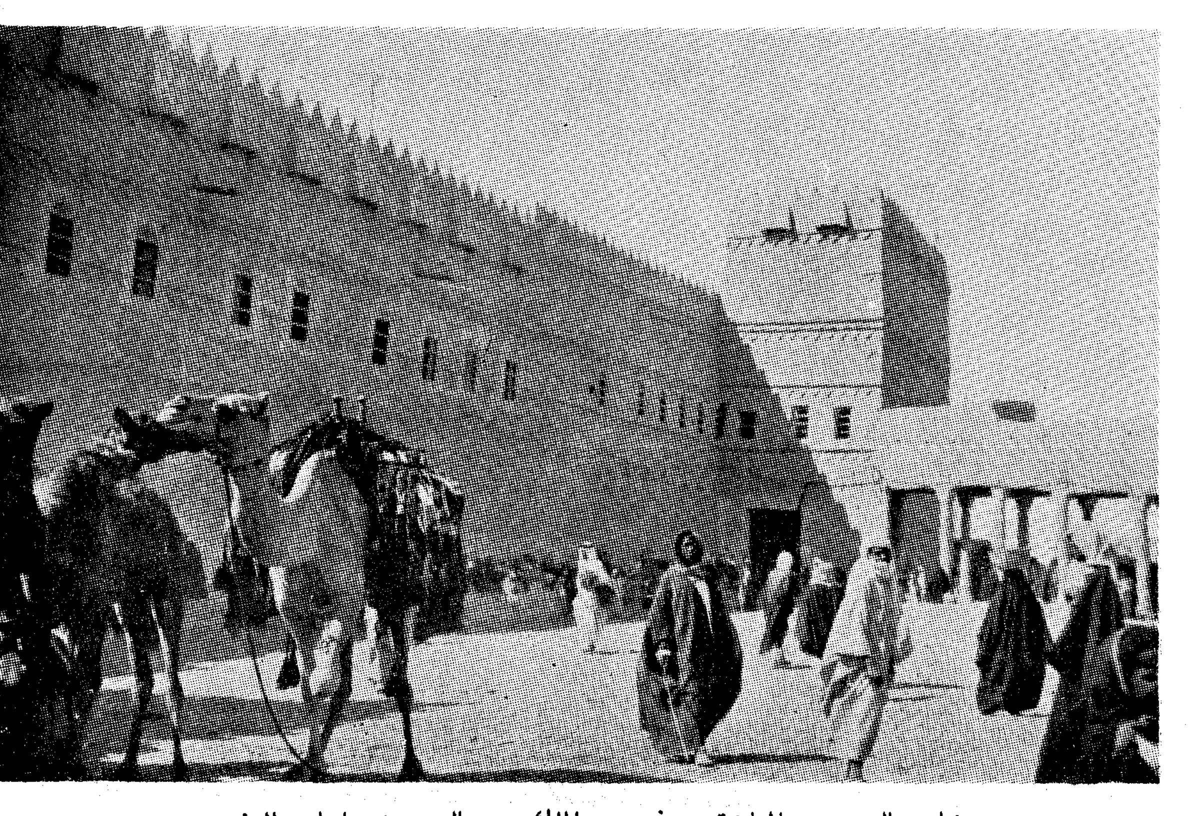
منظر خارجي للقصر الملكي في سنة ١٣٥٠



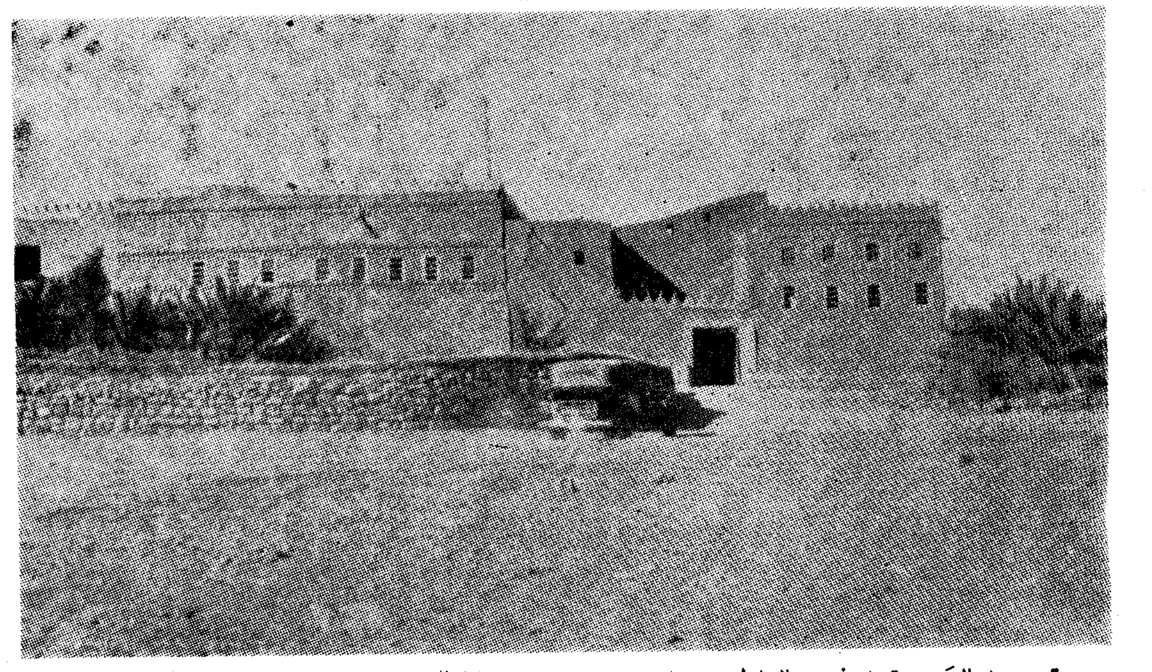
منظر داخلي للقصر الملكي (المضيف)



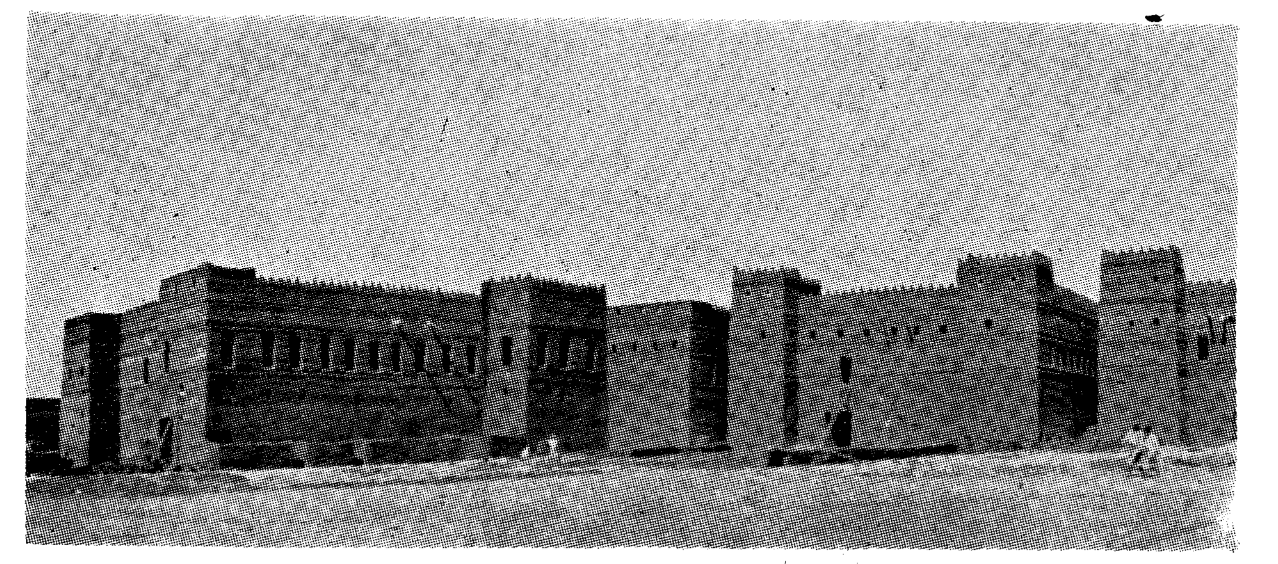
منظر عام لمدينة الرياض من الجو في عام ١٣٥٥
ويبدو فيها اختلاف طراز الأبنية



خارج القصر – المناخة – في عهد الملك عبد العزيز ، وامامه الوفود



قصر (البَدِيعة) في « الباطن » وادي حنيفة . وهذا القصر مخصص للضيوف الذين يفدون من خارج البلاد في عهد الملك عبد العزيز



مجموعة من القصور الملكية أنشئت من الطين واللبن في آخر عهد الملك عبد العزيز – رحمه الله –

الرياض الحديثة

مجموعة من الصور تمثل النهضة العمرانية الحديثة
في مدينة الرياض حيث طغت موجة
التنظيم الحديث حتى أزالت معالم
المدينة القديمة، بالهدم وإعادة
البناء على الطريقة الجديدة
وتوسيع الشوارع ،
وإيجاد الميادين
الفسيحة داخل
المدينة .



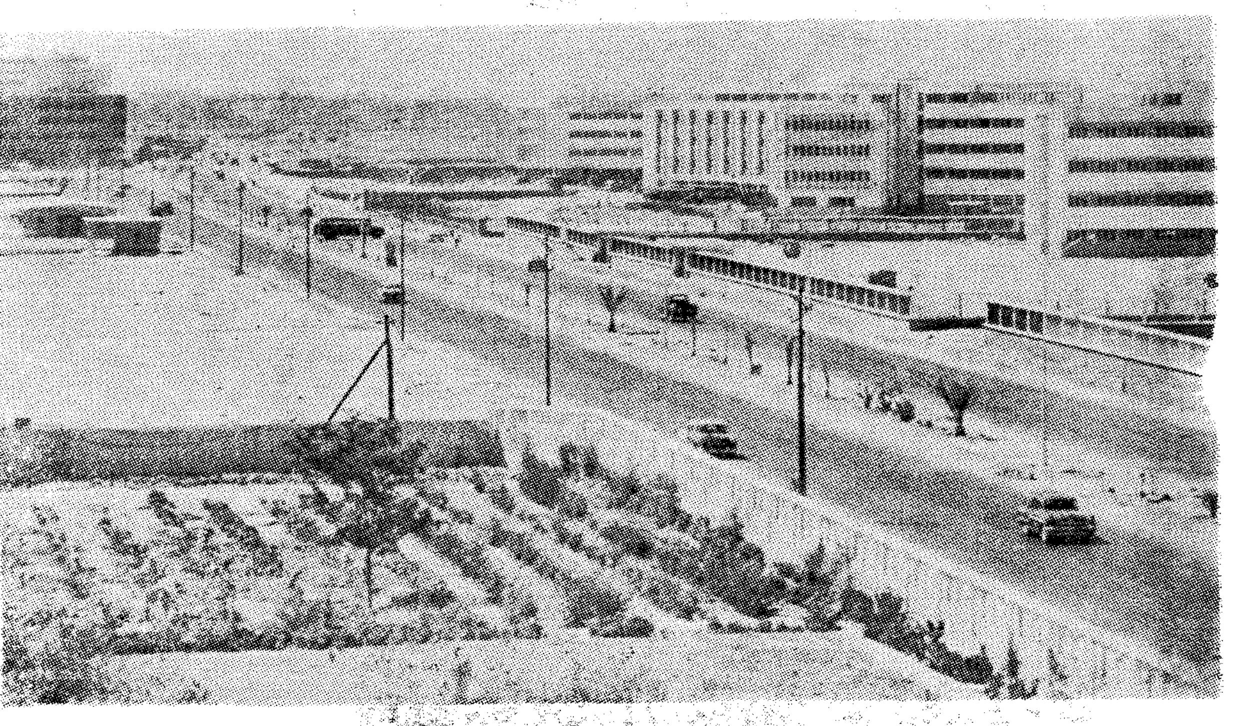
قسم من مدينة الرياض الحديثة



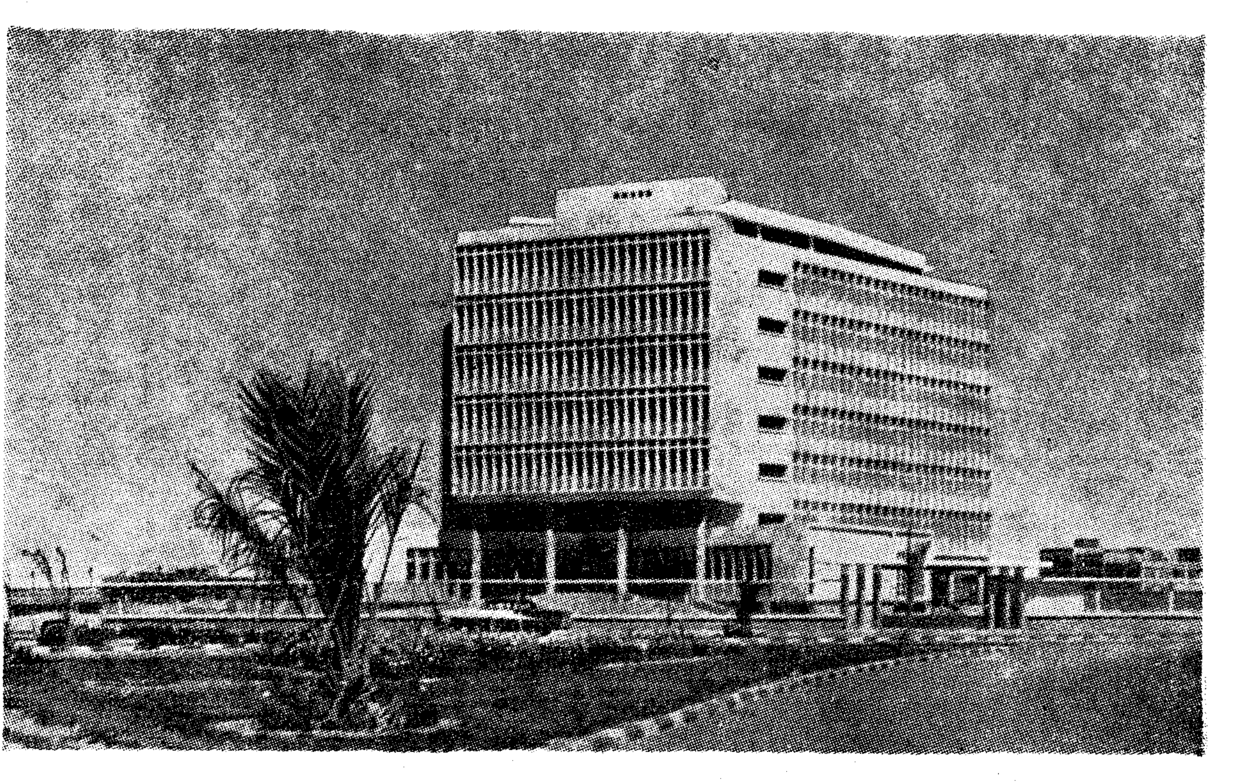
شارع (المطار) تبدو على جانبه البناءات الحديثة للوزارات



شارع حديث من شوارع الرياض



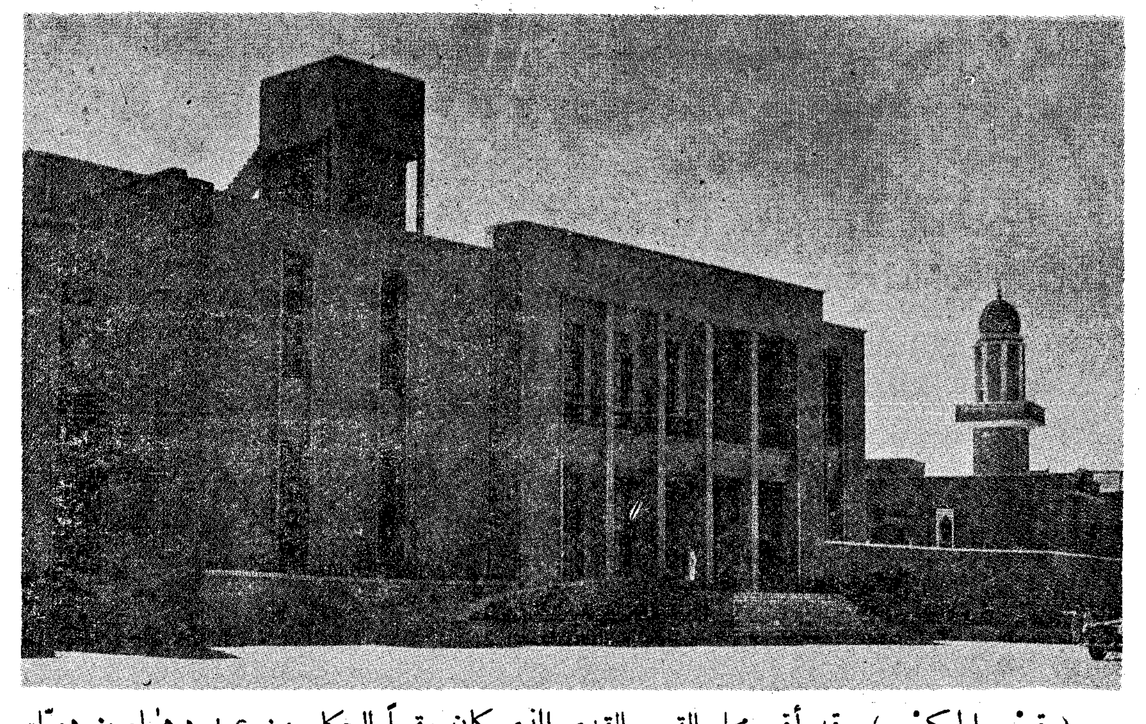
شارع حديث من شوارع مدينة الرياض الحديثة



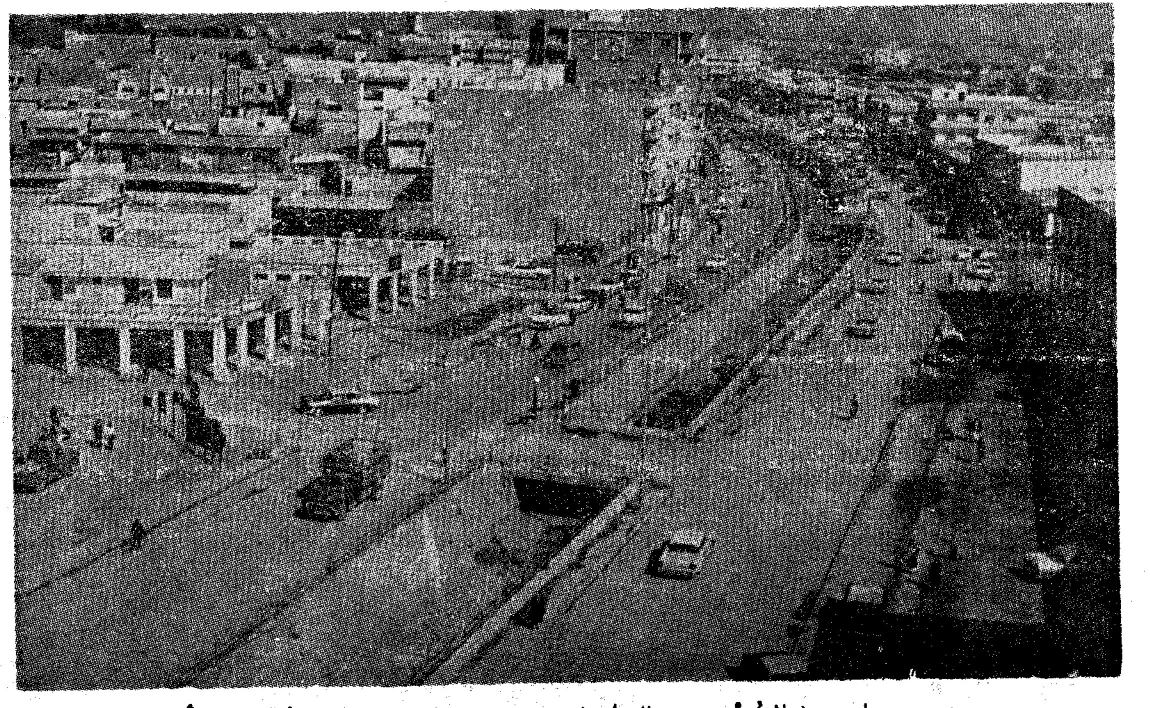
وزارة المالية والاقتصاد الوطنى



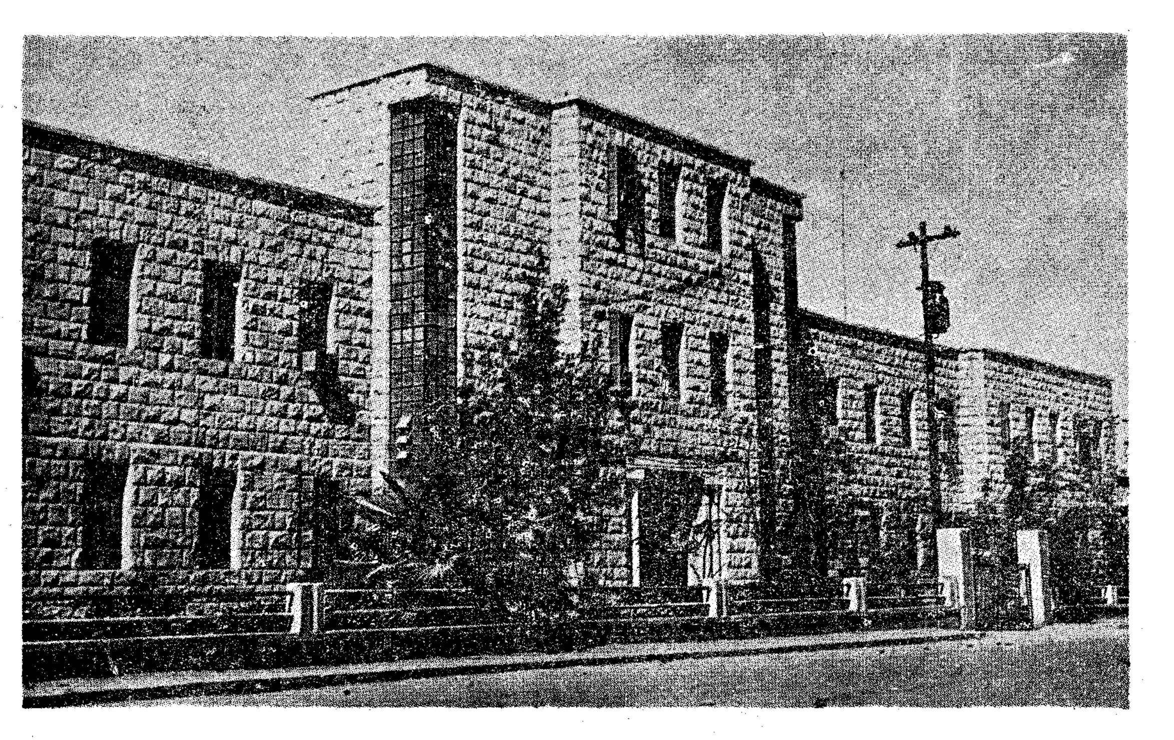
مبنى حكومي حديث



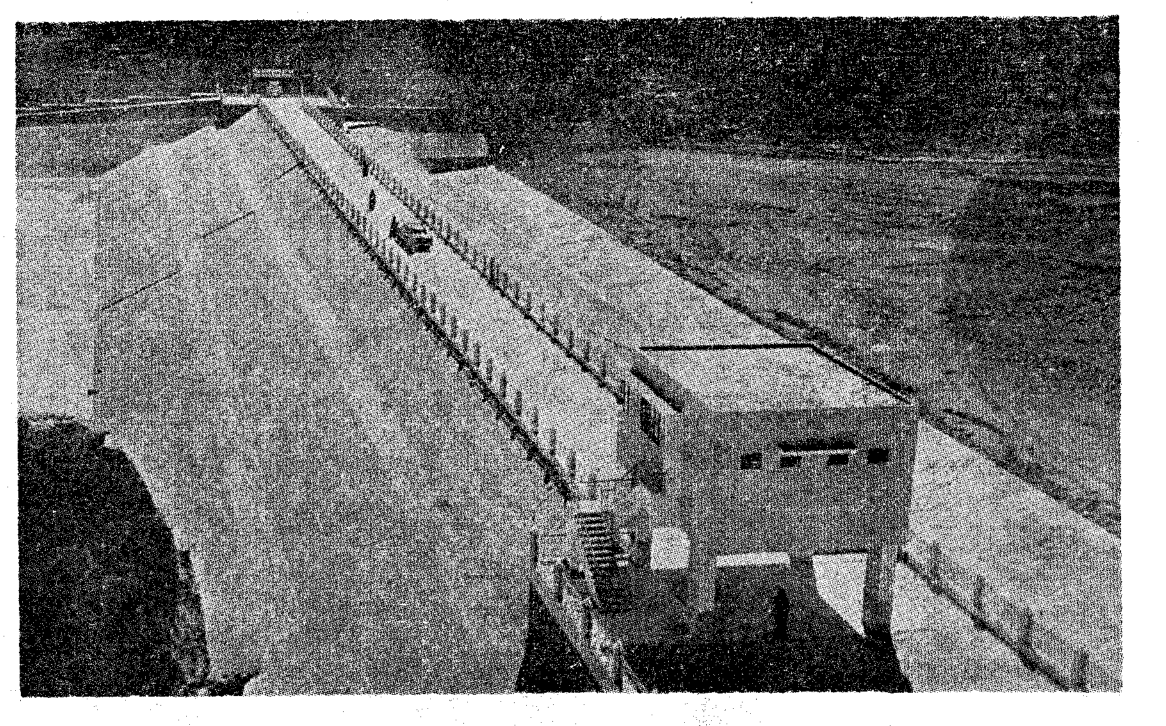
(قصر الحكم) وقد أقيم محل القصر القديم الذي كان مقراً للحكام من عهد دِهام بن دوّاس الى آخر عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى .



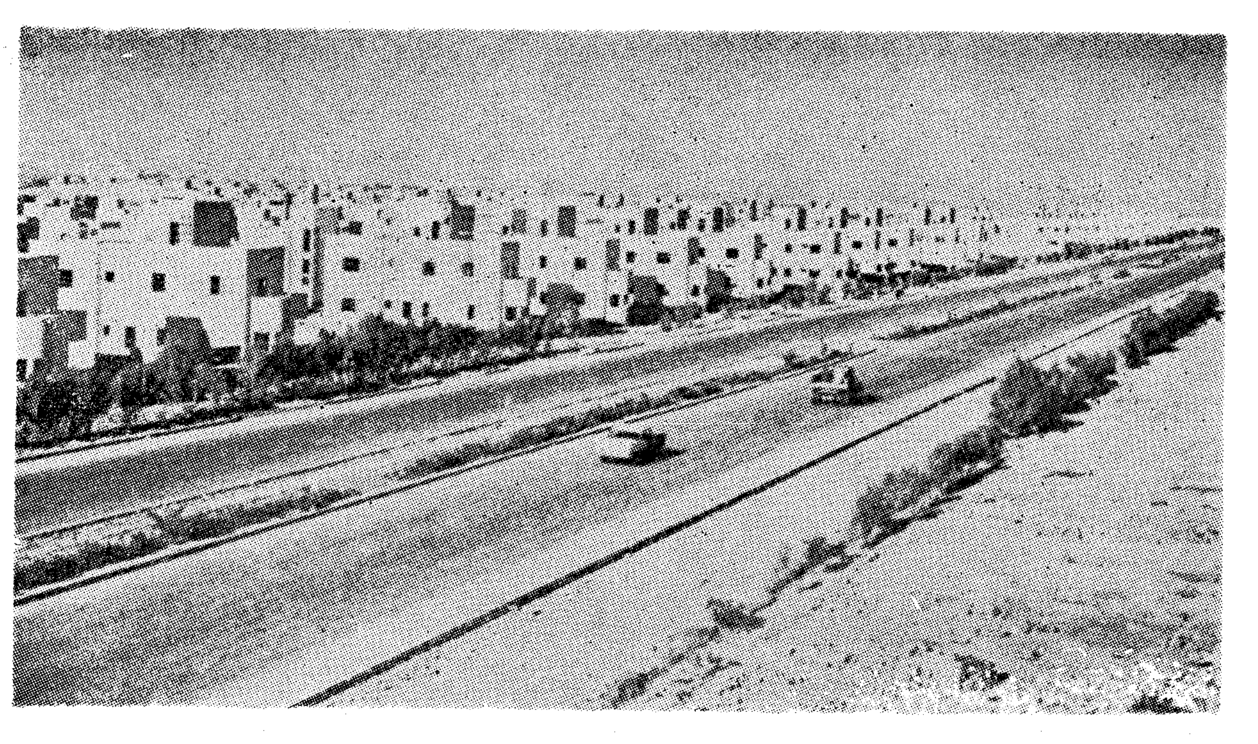
مجرى وادي (الوُتَر) ـ البطحاء ـ يخترق المدينة ، وقد حُفِر وأحيط بسياج ، ليكون مجرى للسيل



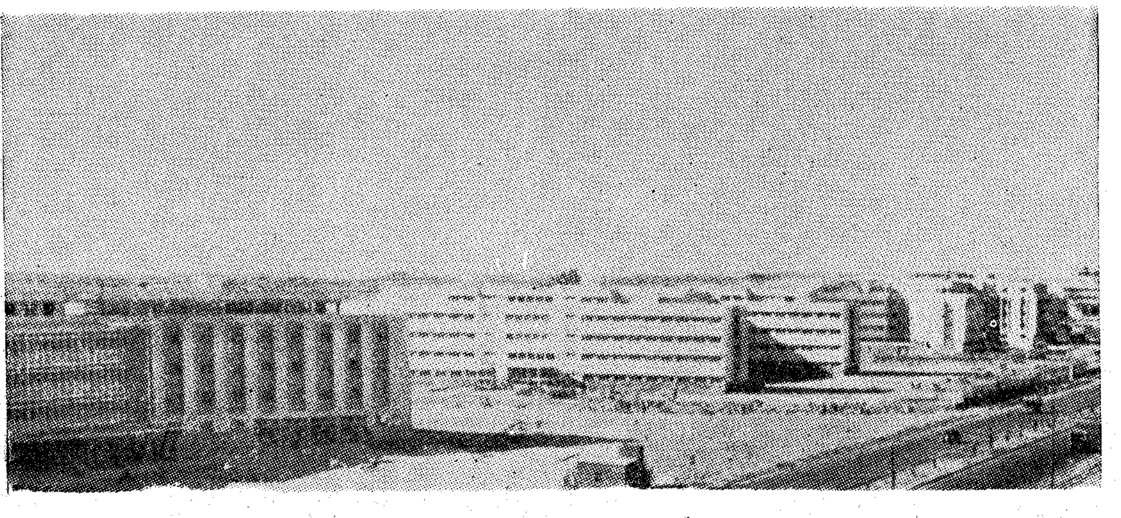
دار (أمانة مدينة الرياض) مبنية بالحجر والاسمنت بناء حديثاً



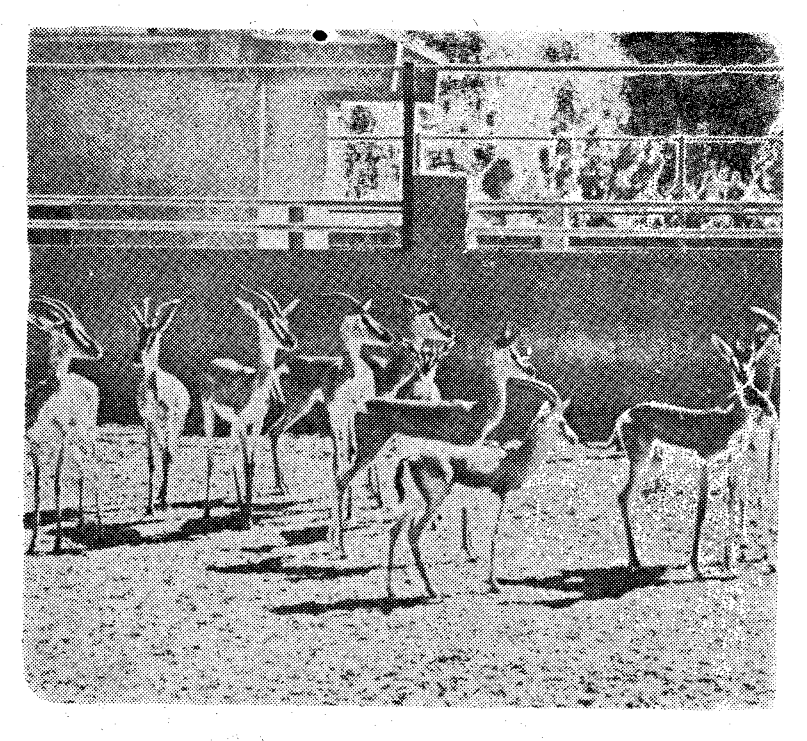
سد (وادي نُمار) بقرب مدينة الرياض ، أنشىء حديثاً



جانب من مدينة الرياض الحديثة



جانب آخر من مدينة الرياض الحديثة



منظر من (حديقة الحيوانات) في الرياض

مسجد حديث البناء





فهرست

أهم مصادر البحث

* – الأخبار الطوال .
أبو حنيفة : أحمد بن داود بن وننـد الدينوري .
* – الأغاني .
أبو الفرج : علي بن الحسين الأموي الأصفهاني .
* – الاكليل .
الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني .
* – بلاد العرب .
الحسن بن عبد الله الأصفهاني .
* – تاريخ آل سعود .
سعود بن هذلول آل سعود .
* – تاريخ الرسل والملوك .
محمد بن جرير الطبري .
* – تاريخ العرب قبل الاسلام .
جرجي زيدان .
* – تحفة النظار (رحلة ابن بطوطة)
محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة الطنجي المغربي .
* – تقويم البلدان
اسماعيل بن علي المعروف بأبي الفداء صاحب حماة .
* – جمهرة انساب العرب
علي بن أحمد بن حزم الأندلسي .

* – جمهرة النسب

هشام بن محمد بن السائب الكلبي .

* – ديوان الأعشي

الأعش الكبير ميمون ابن قيس الوائلي الربعي .

* – سفرنامة (رحلة)

ناصر خسرو علوي الفارسي .

* – سمط النجوم العوالي

عبد الملك العصامي المكي .

* – شرح المعلقات

ابن الأنباري .

* – شمس العلوم

نشوان بن سعيد الحميري اليمني .

* – صفة جزيرة العرب

الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني اليمني .

* – صورة الأرض

ابن حوقل القصيبي

* – العبر (تاريخ ابن خلدون)

عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي .

* – عمدة الطالب في نسب أ ل أبي طالب

ابن عنبة حمد بن علي الحسني .

* – عنوان المجد في تاريخ نجد

عثمان بن بشر النجدي .

• – فتوح البلدان

أحمد بن يحى بن جابر البلاذري .

• – الفهرست

محمد بن اسحاق بن النديم .

• – الكامل في التاريخ

ابن الأثير .

• – مختصر كتاب البلدان

أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني .

• – مروج الذهب

علي بن الحسين المسعودي .

• – مسالك الأبصار

أحمد بن يحي بن فضل الله العمري

• – المشترك

ياقوت بن عبد الله الحموي .

• – معجم البلدان

ياقوت بن عبد الله الحموي .

• – معجم ما استعجم من أسماء المواضع

عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي .

• – نبذة في تاريخ نجد

ابراهيم بن صالح بن عيسى النجدي .

جدول الخطأ والصواب

وقعت أخطاء كثيرة لا تخفى على فطنة القارىء، ومنها :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	١١	عاسل	عامل
٢٢	٤	ا غمر	الغمر
٢٢	٨	في الحريق	وفي الحريق
٢٦	٤	سرحون	سرجون
٢٧	٥	الوِتر	الوُتْـر
٢٩	٣	الجديسون	الجديسيون
٣٥	٨	جديسَ	جديسُ
٣٦	١	انضاف	انضافت
٣٧	١١	مغموزة	معمورة
٣٩	١٠	للفلاة	للأملاة
٤٦	١٠	أتّبِعَكْ	أتّبِعْكَ
٤٨	٣	ثهامة	ثمامة
٥١	١	بن وائل	من بني وائل
٥٣	٣	التميمة	التميمية
٥٦	١٣	البورق	البوارق
٦٣	٧	الخفاء	الخلفاء
٦٩	١٣	الأخيضرون	الأَخيْضِرُيون
٧١	٩	يظاهر	بظاهر
٧٨	٦	الأخيَضريين	الأَخيْضِريّين



مدينة الرياض
عبر أطوار التاريخ
مدينة الرياض الحديثة
مقياس الرسم: ١ من (٣٠،٠٠٠) تقريبا
اصطلاحات
الرياض القديمة
حدائق وبساتين